

روايات مصرقة الحبيب

قصص

Looloo

سافاري

30

www.dvd4arab.com

د. أحمد غسان التوفيق

مقدمة

(سافارى) مصطلح غربى تم تحريفه عن كلمة (سافريّة) العربية .. وحين يتحدثون عن الـ (سافارى) فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش فى الأدغال (إفريقيا) ..

لكن وحدة (سافارى) التى سنقابلها هنا كانت تصطاد المرض فى القارة السوداء .. ووسط اضطرابات سياسية لا تنتهى .. وبيئة معادية .. وأهل متشككين ..

بطلنا الذى سنقبله يوماً ، ونألفه ، ونتعلم أن نحبه هو د. (علاء عبد العظيم) .. شاب مصرى ككل الشباب .. اختار أن يبحث عن ذاته بعيداً وسط الأدغال (الكامبيرون) ، وفى بيئة غريبة وأمراض أغرب وأخطر لا تنتهى فى كل بقعة ..

وفى هذه الروايات نقرأ مذكرات د. (علاء) .. نعيش معه ذلك العالم العجيب الذى لم تتجح الحضارة فى تبديل معالمه ..

سنلقى الكثير من الفيروسات للقتلة .. والسحرة المجتنبين .. وأكلة لحوم البشر .. والمرترقة الذين لا يمزحون .. وسارقى الأعضاء البشرية .. والعلماء المخابيل ..

سنلقى كل هذا .. ونلقى محاولات طبيينا الشاب كى يظل حياً .. وكى يستطيع فى الوقت ذاته أن يظل طبيباً ..

تعالوا نلحق بوحدة (سافارى) فى (الكامبيرون) ..

تعالوا ندخل الأدغال ونجوب (السافانا) ونسلك البراكين ..

تعالوا نواجه المرض مع فريق (سافارى) ..

1- لم لا نجرب؟

في الساعة مساءً ذلك اليوم استدعيت المدير إلى مكتبه ..
لا أعرف .. في الحقيقة كنت أخشى ذلك في السابق ،
لكن فترة الملل التي شعرت بها ، والتي انتهت بحادث فقد
للجنين جعلتني أتوق إلى استدعاء مماثل ...

كانت (برنادت) قد استردت صحتها ، وعلاقاتنا صارت
إلى أفضل .. لكنني كنت بعد قلقاً بسبب احتمال أن تشتعل
الجنوة من جديد .. إن الخلافات كالأعاصير تأتي .. تأخذ
وقتها ثم تذهب .. لا أحد يعرف كيف ولماذا تأتي .. لا أحد
يعرف متى ترحل .. ولو استطاع العلماء معرفة الأسباب
التي تؤدي للأعاصير لصار الزواج جنة ..

كانت تتعامل بشيء من الأسى لأنها لم تمنحني طفلاً .. وكانت
تعتقد أنني بوصفي شرقياً أتحرق لهذا بشدة .. لكنني كنت واضحاً
في هذه النقطة .. دعى كل شيء يمض كما هو .. لم تنته
حياتنا بعد .. ربما تنجب ستة من الأطفال ، وربما يصير أحدهم
رئيس (كولومبيا) أو رئيس لجنة الأوسكار أو أهم داعية
في (ترينداد) .. كل شيء ممكن والغد مفعم بالوعود ..

حقاً إنني أعيش في زمن أسود ..

الكلمة الطيبة لا تجد من يسمعها ..

الجبهة الصافية تفضح الخيانة ..

والذي ما زال يضحك ..

لم يسمع بعد بالنبأ الرهيب ..

.....

أي زمن هذا ؟

برتولت بريخت

Bertolt Brecht

(شاعر وكاتب مسرحي ألماني)

أقول إذن إننى اتجهت إلى مكتب (بارتلييه) وفى صدرى ملايين الآمال ..

أتمنى - وليس شيء عسيراً على الله - أن أجد فى مكتبه عالماً هولندياً منتفخ الأوداج عصبياً، ترتعش يداه بلا توقف .. فيخبرنى (بارتلييه) أن هذا هو البروفيسور (فان هاوزن) مثلاً، وهو يريد تجربة جهازه الجديد الذى يحقق الأحلام .. وهكذا تبدأ مغامرة جديدة .. سوف أتع ... هذا (باركر) !

نعم .. أنا أحب المغامرة لكن ليس إلى هذا الحد .. نائب المدير البريطانى الشرس يقف أمام المدخل ويرمقنى فى صرامة .. إنه من الوجوه البسيطة جداً فى (سافارى) والتى لا تحتاج لتعقيد فى التعامل .. مثل (ليفى) و(هيلجا) .. يجب أن أكون وغداً مع الأول .. ويجب أن أكون بارداً سمجاً مع الثانية .. أما الثالث ففر منه فرارك من المجنوم لو استطعت .. إنه المشاكل تمشى على قدمين ..

قال لى فى غيظ (وهو مفتاظ دائماً على فكرة) :

- « صباح الخير يا دكتور .. لاحظ أننى لم أعاقبك على ما بدر منك للبارحة .. »

حاولت التذكر .. ماذا حدث للبارحة ؟ لا بد أنه يتكلم عن نوبتجية جراحة المخ والأعصاب .. قلت فى لرتباك :

- « لقد بدأت ثم أصابنى ذلك الصداغ .. أنت تعرف .. »

قال فى صرامة :

- « وبعد ذلك ؟ هل لديك تفسير ؟ »

ما معنى هذا ؟ هناك جاسوس بيننا ينقل كل شيء لهذا الوغد .. قلت فى ضيق :

- « ذلك الطبيب النمساوى قد استفزنى .. تلك المشاجرة هو من بدأها لا أنا .. »

كنا نتكلم بينما السكرتيرة ترمقنا فى اهتمام ، وقد وقفت على الباب .. فى عينيها رسالة ما لا أستوعبها جيداً لكنها مهمة جداً .. قال لى وهو يبتعد :

- « فلتته لقاء المدير أولاً ثم تعال لتسوى هذه الأمور .. »

وابتعد وهو يعوى كالذئب والزبد يسيل من شذقيه ..

قلت لى السكرتيرة بعدما تأكدت من أنه غاب فى الأفق :

- « يالك من أحمق .. لا تؤاخذنى يا دكتور .. لكنك أحمق »

فعلًا .. إنه يستعمل هذه الطريقة دائمًا .. يسلك أمثلة توحى بأنه يعرف الكثير ، فتدافع عن نفسك .. هكذا يكتشف كل شيء .. ثم تنصرف أنت متسائلة في حماقة : من الوغد الذي نقل له كل هذه الأسرار ؟ ثقي أنه لا يعرف حرفًا عن مشاجرة أمس ولا قسم جراحة المخ والأعصاب ، لكنك قدمت له وقود للترا !

يا للوغد ! وشعرت بأن أذني تحمران خجلًا .. لا بد أنهما تشبهان الطماطم الآن .. مشكلتي هي تلك الانفجارات المتهورة .. أتكلم وأفعل ثم أفكر .. على كل حال لن أكون الحمار الأخير في هذا العالم ..

قلت لها محاولاً تغيير الموضوع :

- « ماذا عن (لويس السادس عشر) ؟ »

- « ينتظرك ومعه زائر شديد الأهمية .. »

هكذا توكلت على الله ووقفت على الباب ، وأخذت شهيقًا عميقًا .. يارب .. أرسل لي عالمًا هولنديًا مجنونًا اسمه (فان هاوزن) يريد تجربة جهازه الجديد الذي يحقق الأحلام .. لا ترسل لي (باركر) ...

أمام المدير الجالس في مكتبه وجدت ذلك الرجل منتفخ الأوداج العصبي ، الذي ترتعش يداه بلا توقف ..
بالإنجليزية قال (بارتلييه) الذي ازداد بدانة في الفترة الأخيرة :

- « (علاء) .. أقدم لك البروفيسور الهولندي »

قلت في لهفة :

- « (فان هاوزن) ؟ »

تبادل الرجلان النظر ثم قال المدير في شيء من العتاب :

- « (بيتر ترامب) .. إنه ضيفنا هنا ، وأريد أن تعنى به طوال زيارته .. أنت تعرف أنني أثق بك في هذه الأمور .. أنا أبحث له عن سكرتارية وجندي مراسلة ومترجم (إنجليزية - فرنسية) وصديق مخلص .. وأخشى أن هذه المهمات ستقع كلها على عاتقك .. »

حقًا لم تكن هذه أول مرة .. لحسن الحظ أنه لا يبحث له عن أم روم أو زوجة ..

سألت بصوت أحول أن أخفي رجفته :

- « هل البروفيسور طبيب ؟ »

قال (بارتلييه) في تبهار :

- « هو مزيج من طبيب وعالم نفس وطبيب أمراض عصبية وفيزيالى .. إنه من تلك الشخصيات الفريدة التى لا يمنحها الزمن مرتين .. »

قلت بمزيد من اللهفة :

- « وهو راغب فى تجربة جهاز أحلام ؟ »

هنا من جديد تبادل الرجلان النظرات ثم تفجرا ضاحكين ..

للمرة الأولى تكلم الهولندى بصوت عميق رخيم مؤثر .. قال :

- « أخشى يانكتور أن لديك ولعاً شديداً بـ«تكمال القصص بعد قراءة أول صفحة منها .. »

كان ككل الهولنديين لا ينطقون (السين) تقريباً بل يحولونها إلى (شين) .. لهذا سأصحح كلماته تلقائياً أثناء السرد .. كى لا أعذبكم كما عذبنا ..

وقال المدير :

- « (علاء) .. كف عن ادعاء الذكاء من فضلك .. هذه الطريقة توحى بالإهانة .. لو أصغيت بعض الوقت لعرفت كل شيء .. »

هزئت رأسى بمعنى أننى راغب حقاً فى الفهم ، لكنى قلت

لنفسى إنه إذا وصل حنسى إلى هذا الحد فإنه لا يوجد ما يمنع أن يستمر إلى النهاية .. إن الأمور تتحسن .. أعرف هذا .. أتق به ..

قال لى الهولندى وهو يخرج مجموعة من الأوراق :

- « كخطوة أولى يجب أن توقع لى على موافقتك الكاملة على التجربة .. ستكون جزءاً أساسياً منها ، وسوف اعتمد على شهادتك .. »

بحماسة أخرجت قلمي من جيب المعطف ، ومددت يدى أتناول الأوراق .. فقال المدير محتجاً :

- « من دون أن تعرف نوعية التجربة ؟ ماذا لو اتضح أنه يريد انتزاع عينيك ووضعها فى محلول حمضى ، مع إدخال سلك كهربى فى أذنك ؟ »

قلت بلامبالاة :

- « لا أعتقد هذا ياسيدى .. نحن نتكلم عن آلة أحلام .. لا يوجد خطر فى هذا .. »

من جديد تبادل الرجلان النظر .. هذه المرة لم يعد من موضع للضحك بل الدهول .. هذا الطبيب الشاب الملتحى مخبول حتماً ..

قال الهولندي وهو يناولنى الأوراق :

- « على كل حال لم تبتعد عن الحقيقة كثيراً .. لكنها آلة تاريخ لا أحلام لو شئت الدقة .. »

- « هل تعنى آلة الزمن ؟ »

هنا بنفاد صبر قال (بارتلييه) وهو يتناول الأوراق فيضعها تحت ملف على مكتبه :

- « بعد إنك يا بروفيسور .. سنؤجل موضوع التوقيع هذا إلى ما بعد تقديم محاضرتك غذا .. لا أعرف كم من الأطباء سيكون موجوداً لكنى متأكد من أن د. (عبد العظيم) على الأقل سيحضرها بالأمر .. »

ثم نظر لى وقال :

- « فى هذه المحاضرة ستعرف كل شيء وستشفى هوايتك فى استنباط المعلومات .. »

ثم عقد أنامله وقال بلهجة درامية من طراز (النهاية) :

- « الآن .. هل تسمع لنا ؟ »

هزئت رأسى وتجهت إلى الباب .. هنا سمعت صوته ينالينى :

- « التاسعة صباحاً ! لا تنس ! »

ثم تذكر شيئاً فقال :

- « (علاء) .. سنكون شاكرين لو قمت بحلاقة شعرك من أجل التجربة .. »

- « هل تعنى تقصير الشعر ؟ »

- « لا .. أتحدث عن رأس صلعاء تماماً .. لا تنس أن هذه موضوعة الـ Skinhead التى يحبها الشباب .. سيبدو منظرك رائعاً .. إن الرأس الحليقة توحى بالرجولة وقوة الشكيمة !! »

وقد جلست في المقاعد الأمامية واحتلت بذراعي ثلاثة مقاعد أخرى ووضعت ساقاً على ساق .. أريد أن أعرف ما هذا الذي يريدون مني تجربته لكنني لست مهتماً إلى هذا الحد .. المهم أنه شيء جديد ..

1. 1998年12月

بعد التقديم العمل المعروف ، تقدم (بيتر ترامب) الذى
 لوى التقديم لنا بأنه موشك على التحليق بجناحيه أو أن
 ينبعث للبرق من أذنيه .. تقدم خلف المنصة ، وقال بلهجته
 الإنجليزية الملوثة بالهولندية إلى حد لا يوصف :

« تعرفون أنني قضيت أكثر حياتي في دراسة المخ
البشري .. درست النفس البشرية ودرست تشريح المخ
وظائفه .. هناك من يدرسون قواعد اللغة وهناك من
يكتبون الشعر .. أنا فعلت الاثنين .. درست الأداة وما تنتجه
الأداة ، ولا أبلغ إذا قلت إنني فخور بما قمت به .. وقد
وجدت أن لدى حلمًا لكني من أجل تحقيقه يجب أن أعرف
الفيزياء جيدًا لهذا قضيت عشرة أعوام من عمري في
دراسة الفيزياء ، وبرغم هذا استعنت بمجموعة من
أصدقائي علماء الفيزياء لنعرف ما عرفناه .. »

2- لم لا نجرب؟ (أم قلتها من قبل؟)

كان إعداد المحاضرة في غاية السوء .. لقد فقد الرجل بعض أوراقه وكان ترتيب الشرائح خطأ .. كما أن جهاز العرض المتصل بالحاسب الآلى أصابه عته مؤقت ، وكان علينا أن نطلب رأي (جرتروود) الزنجية الأمريكية التي يعاملونها كخبير كمبيوتر حين لا يجدون واحداً ..

كان عدد الحاضرين لا يتجاوز العشرين ، لذا بدوا كنفود
 فى جيب موظف فى نهاية الشهر .. خلاصة فى قاعة مجهزة
 واسعة مثل قاعة (الأوديتوريام) الفاخرة .. والسبب على
 كل حال ليس أن الرجل ممل ككلاجيم .. لم يأت أحد ليعرف
 هذا .. كان السبب هو أنه لم يتم أى تنويه عن الندوة ..
 وكان من الصعب الآن أن تجد من غرق فى النعاس فى قسم
 الجراحة ، ومن غرق فى عواء الأطفال فى قسم الأطفال ،
 ومن يحاول الآن تحرير رأس الطفل من الحبل العسرى فى
 قاعة التوليد .. دعك ممن تسللوا للقبو ليدخنوا سراً ، ومن
 يتظاهرون بأنهم لم يسمعوا عن المحاضرة ..

كان (بارتلييه) بادي لعصبية وكذلك الهولندي .. لكن الأمور بدلت تستقر على كل حال .. لم تكن (برنانت) هنا ولا (بسم) ..

تعالى صوت (بياتريس) الطبية الفرنسية التي تعمل كمتجمة متطوعة ، وهي تنقل للجالسين ما قلله بالفرنسية .. ترجمة رديئة جداً لكنها تفي بالغرض .. تذكرت باسم الجنرال الأمريكي (ماك آرثر) حين كان .. وسط أحد خطباته .. يحكى نكتة طويلة لبعض المواطنين الفلبينيين ، ثم طلب من المترجم أن ينقلها لهم .. شرح المترجم النكتة في ثلاث أو أربع كلمات فاتفجر الفلبينيون ضحكاً .. بعد الخطاب سأل الجنرال المترجم عن الأسلوب البصري الذي لخص به هذه النكتة الطويلة ، فقال المترجم في أدب :

« كانت نكتة أمريكية سخيفة وتوقعت أنهم لن يفهموها ، لذا قلت لهم : لقد قال الجنرال نكتة فارجو لن تضحكوا بشدة ! »

كانت (بياتريس) تقوم بمهمة شبيهة بهذه ..

ضغط الهولندي على الفأرة لتظهر أول شريحة على الشاشة .. كانت تمثل طفلاً يخرج لسانه لنا وتعالى بضع ضحكات .. قال في ضيق :

« لا .. هذا خطأ .. الترتيب خطأ .. »

وبدأ يحول إعادة ترتيب الشرائح على جهاز الكمبيوتر .. وساد صمت يتخلله تعليقات هامسة ..

« هذا الترتيب صحيح .. هذه الشريحة ترينا ... »

كانت الشريحة تمثل طفلة في الرابعة تجلس على المرحاض وهي تحتضن دميتها وتنتظر لنا في تحد ...

« لا .. آسف .. لحظة من فضلكم .. »

وعاد يرتب الشرائح .. وتعالى الضحكات أكثر ..

قلت لنفسى : هذا الرجل يفوق تصوراتى .. عالم شارد للذهن على قدر لا يأس به من (الدهولة) .. ليس أجمل من هذا .. لكن هل أتق في هذا الرجل إلى حد أن أسمح له بالتجربة على ؟ آسف يا دكتور (علاء) .. كنت أحسب أن هذا السلك الذى دمسته فى أنفك خل من الكهرباء .. هذا خلل بسيط .. للخطأ شيمة بشرية والمفطرة شيمة ربانية .. لا تخف .. سيصيبك بعض العته والتخلف العقلى لكنك حى ترزق .. اطمئن !

فى النهاية بدأ العرض ينتظم ..

فى اللقطة الأولى رأينا رجلاً كتيب المنظر يبدو كمدير على المعاش فى مصلحة حكومية ما .. على حين قال الهولندى :

« (كارل جوستاف يونج Jung) .. عالم النفس السويسرى العظيم .. الرجل الذى درس أبحاث (فرويد Freud) وتحسن له ،

ثم بدأ يدرك أن الاضطرابات الجنسية لا تفسر كل شيء في الحياة .. هكذا تمرد على أستاذه وصارت له مدرسته الخاصة .. (باتج) الذي دخل حياتنا بلفظة (اللاوعي الجمعي) .. والذي صك مصطلحات طبية شهيرة مثل الشخصية الانطوائية Enterovered والشخصية الانفتاحية Exterovered .. وكما نعرف فإن علم النفس هو أقرب العلوم الطبية إلى أن يكون لدينا .. لهذا زرع فكرة اللاوعي الجمعي Collective Unconscious لدى كل من عاصره .. كما أنه أول من ابتكر طريقة التداعي الحر في الكلمات .. طريقة التحليل النفسي التي يقول فيها الطبيب كلمة فيرد المريض بأول كلمة تخطر بذهنه .. «

ثم انتقل إلى الشريحة الأخرى .. فيها تظهر مجموعة من البدائيين يقتلون ديناصوراً .. هذا الغبي يقع في ذات الخطأ الشهير .. الديناصورات لم تتواجد مع البشر قط ..

قال الرجل وهو يشير للشريحة بمؤشر ضوئي ، ويده ترتجف بشكل غير مسبوق :

« هل الخبرات الماضية تحفر فينا ؟ هل تنتقل عبر الأجيال ؟ هذا هو ما حاول (باتج) أن يبرهن عنه .. لقد وجد أن أذهاننا تحوى تراثاً عتيقاً من الأساطير القديمة

والأنيان الوثنية وعادات الرجل البدائي .. كلها موجودة فينا ويمكن بسهولة أن تربطها بتطور العصاب والأمراض النفسية .. «

هنا رفع طبيب إيراني يده .. بدأ التذمر على الهولندي وأشار (بارتلييه) بيده له إشارة خفية أن ينتظر ، لكنه كان مصراً على أن يلقي سؤاله على أي حال ..

سأل باتجيزية جيدة :

« هل تعني سيدي أن خبرة اكتشاف العجلة والنار ما زالت موجودة فينا ؟ »

قال د. (ترامب) في صبر :

« نعم .. ليس بالضبط .. ليس كمشهد وذكرى محفورة ولكن كخبرة عامة تنتقل من جيل لجيل .. كلنا نخاف الظلام لأنه بالنسبة للرجل البدائي كان يعني موعد هجوم الديبة والفهود .. كلنا نرى حلم السقوط من حائق .. يقول (باتج) إن هذه ذكرى السقوط الأول من فوق الشجرة التي كان جدنا ينام فوقها .. لم تعد الذكرى موجودة لكن الإحساء بها قوى .. إنها صور بدائية هي ما نطلق عليه القالب Archetype .. «

ثم توالى الشرائح وأغلبها تمثل أشكالاً تخطيطية :

- « هكذا يمكن أن نجد لدى كل فرد منا تراثاً هائلاً مما جمعه البشرية كلها .. وهذا الجزء يتحرك نحو تقدم الجنس البشرى ككل .. أى أن كل واحد منا يحمل المجتمع كله فى ذاكرته . إن جزءاً منى هو (رمبرانت Rembrandt) لرسم العبرى ، وثمة جزء هو (فان جوخ Van Gogh) .. »

ثم ظهرت صورة للمخ البشرى بينما قال بصوت درامى :

- « هذه الخبرات الجمعية محفورة فى مكان ما فى هذا الجهاز الرائع المتقن .. لكن أين ؟ هل فى قشرة المخ لم قرب المهاد النحتى ؟ هل فى الجسم الصنوبرى كما قيل كثيراً أم أين ؟ »

وظهرت علامة استفهام عملاقة ...

- « هذا هو ما حاولت للثور عليه واعتقد أننى بقلته .. »

ثم ظهر قطب كهربى يتجه نحو صورة المخ .. ليثبت نفسه على قشرة المخ ..

- « من هنا يستطيع هذا القطب استعادة كل شيء .. هذا الصندوق الأسود يمكن أن تجده وأن تفرغ محتوياته .. عندها ماذا ستعرف ؟ ماذا ستعرف ؟ »

وفى هذه المرة ظهرت صورتنا الطفلين فى موضعهما الصحيح ..

- « هذان الطفلان يكتسبان الخبرات بسرعة ، لكنهما يعتمدان اعتماداً كلياً على التراث الذى أخذاه من البشرية .. إيهما يهلبان الظلمة والنار والكلاب والغرباء .. يأتسنان بالضحكة .. من أين كسبا هذه الخبرات ؟ »

هتف الإبراقى غير مصدق :

- « سيدى .. أنت تتكلم عن شيء غريب .. هل الخبرات التى عرفتتها الأم تورث الأطفال فور ولادتهم ؟ »
وتعللت الضحكات .. لكن الهولندى لم يضحك ، وقال :

- « لم يتفق الكثيرون مع (ياتج) .. لكننا لن ننسى أن الخبرات تنتقل جينياً وبطريقة كيميائية بحتة .. من المصالفة أن الشريحة القلمية تحمل إجابة سؤلك .. هل تعرف هذه الدودة ؟ »

وعلى الشاشة ظهرت دودة مسطحة تشبه إلى حد ما الدودة الكبدية (الفاشيولا Fasciola) .. ولما لا يعرفون شكل الدودة الكبدية لآول إنها تبدو كالشبح الذى يظهر فى القصص المصورة مدثراً بملاءة لها ثقب عند العينين والفم .. أما من لا يعرفون شكل هذا الشبح فليسمحوا لى ..

- « هذه دودة (بلاناريا Blannaria) تلك الدودة المحظوظة التى

تصدر عنها مجلة كاملة في الولايات المتحدة اسمها (مختبرات مربي الديدان) .. لقد عانت هذه الدودة للقصبة كثيراً جداً من الحماس العلمي لدراساتها .. لقد أجرى عليها الأطباء بعض تجارب مثيرة .. ووجدوا أنها قابلة للتغلم .. ليس إلى حد ركوب الدراجة أو إحضار الجريدة ، لكن لدرجة تحاشي الأرلر التي تسبب لها صدمة كهربية وما إلى ذلك .. حسن . لقد علم الأطباء الجيل الأول من ديدان خبرات شائعة .. بعد هذا مزقوا الديدان المسكينة شر ممزق .. وحققوا بمحاول مكون من بقلهاها تلك الديدان الأمية التي لم تتعلم بعد .. فلماذا كانت النتيجة ؟ لقد صارت الديدان الجاهلة مثقفة فجأة .. معنى هذا أن عملية التغلم انتقلت بشكل كيميائي إلى الديدان الأمية .. نفس النتيجة حصلوا عليها من إطلاع بقلها لديدان المثقفة لتلك الجاهلة^(*) ..

ثم نظر لنا وضوء العرض يلتصع على عوينقه فتبدو كأنها تشع بذاتها :

- « هذا هو بيت القصيد .. خبرات الأم وخبرات البشرية كلها تنتقل للطفل الرضيع .. إن تقدم البشرية عبر هذه القرون لم يضع هباء .. بل هي خبرة تراكمية تتكسد جيلاً بعد جيل .. »

(*) طبعا أية معلومة تذكر في (سافري) حقيقة ما لم نقل صراحة عكس ذلك .

ثم ظهرت الشريحة التالية ، وفيها ساحر من القرون الوسطى .. ساحر شرير كما يبدو من ضحكته الخبيثة .. يقف في مختبر مظلم تقريباً ما عدا جثة ممزقة ممددة على فراش .. صورة مخيفة لكني اعتقد أنه اقتطعها من مجلة مصورة ما ..

- « كان القدماء يتحدثون عن الترومانسي Necromancy أو (استجواب الموتى) .. وهي طريقة قذرة تجعلك ترى ما راوه وتسمع ما سمعوه وتعرف ما عرفوه .. اليوم نحن نفعل هذا بطريقة علمية بحتة .. ولن نجرب على الموتى لكننا سننتزع أسرار الوجدان الجمعي للأحياء .. »

هنا تدخل (جيدون) الذي كان يراقب كل هذا في صمت حتى إنني لم ألحظ وجوده .. كان قد وضع ساقي على ساق وأراح ذراعيه على مقعدين كما فعلت أنا . وقد قدرت حين رأيت وجهه الصارم أن كل شيء لم يرق له :

- « هل ترعّم لك قللر على هذا ؟ »

قال الهولندي في غموض :

- « نعم .. لهذا جئت هنا .. »

- « وكيف ؟ »

قال الهولندي وهو يقلب شرائحه تفادياً لمواجهة العينين :

- « هذا لن أقوله .. لن أفكر عنه حرفاً قبل أن أجرى التجربة وأخذ تقريراً عنها .. لقد شرحت المبدأ لكن لا تفاصيل من فضلك .. »

قال (بارتلييه) في حماس :

- « سيكون هناك محكمون من الوحدة .. ستكون أنت منهم يا دكتور (جيدون) .. »

نهض (جيدون) في ملل، واستدار نحونا .. كله لا يرغب في أن يواجه المنصة ، وقال :

- « الحقيقة إن هذه الوحدة اتخذت منهجاً عجيباً بعض الشيء في الفترة الماضية .. إنها تقبل قدوم أي حلو يقدم عروضه وترحب به .. هذا كثير .. لقد صارت وحدة (سافري) هي مأوى من هب وذب من شذاذ الآفاق .. وفي النهاية هذه الأبحاث العلمية المربية تصدر حاملة اسمنا .. لن تكون نتيجة هذا إلا فقدان مصداقيتنا ، وتحويلنا من علماء إلى حواة .. »

تعلت بعض أصوات التأييد .. أما أنا فلم أحب ما أسمعه .. لقد رأيت كيف يفسح (بارتلييه) صدره لكل صاحب نظرية علمية لا يجد مكاناً آخر ، وآخرهم (جيرار لومبان) الذي كان ينادى بأنه لا يوجد ثقب أوزون أو هناك ثقب لكنه غير مهم .. لكن هناك منطقاً لا بأس به لدى كل منهم ، وكنت تجاربهم رصينة .. لقد اصطدمنا مع شركة الأدوية النصابة التي كانت تروج لدواء مزيف للملاريا ، نحن نصطدم عند الضرورة كذلك ..

قال (بارتلييه) في وهن :

- « دكتور (جيدون) .. كنت أفضل لو صارحتني بهذه الآراء بشكل منفرد .. نحن لا نشعل ثورة هنا ولكننا نحاول أن نشرح وجهة نظر البروفسور (ترامب) .. لا أكثر ولا أقل .. »

وقال (ترامب) الذي بدأ يفهم أنه أهين :

- « حين وقعت هنا ، كنت أعتقد أنني سأسمع جدلاً علمياً رصيناً يختلف عن أسلوب عمل الموتى في الكلام .. لو كنت

ألفاظ (هب وب) و (حاو) تتكرر كثيراً فإتني قلق على مستقبل هذه الوحدة .. »

وهذا هو الخطأ الشائع .. لا توجد طريقة للرد على ألفاظ سوقية إلا بألفاظ سوقية .. ولئن كان (جيديون) قد ذكر لفظة (حاو) فهو قد تكلم عن (عمال المواتى) .. أنا أعرف عمال موان مهذبين كثيرين ، لكن يبدو أن عمالهم يكونون فظين دوماً ثملين في كل الأحوال ..

وهكذا اشتعل الجدل بين الرجلين العظيمين .. تصاعد ليصل إلى مستوى رفيع .. وجلست لرمق كل هذا باستمتاع .. كنت أهوى عروض المصارعة الحرة في التلفزيون طيلة حياتي ، ولو أن أحد الرجلين لكم الآخر في أنفه لبلغت سعادتي قمته . لا بد أن (فرويد) و (باتج) خاضا حروباً مماثلة وهما يشرحان نظريتهما الصادمة .. الأول يشرح لعلماء (زيورخ) الوقورين المسترسمين كيف أن الطفل الرضيع يملك غريزة جنسية ، والثاني يشرح لنفس العلماء أننا نحفظ في مخنا بما عرفه أجدادنا من آلاف السنين .

في النهاية نجحوا في تهدئة النفوس وساد الصمت .. للأسف قبل أن أَرْضَى نشوئى القتالية .. وقبل أن يتزع أى منهما حزامه ليوسع به الآخر ..

لكنى على الأقل عرفت جزءاً مما ينتظرني ..

3- أقطاب .. كاسيت .. أشياء أخرى ..

- « كالعادة تضع نفسك فى كل موقف مريب غير مضمون .. »

- « هذه عادة لدى .. كل ما هو غريب يهدم الرتبة .. »

- « تجربة السقوط تحت قطار غريبة بما يكفى .. لماذا لا تجرب ذلك ؟ »

- « سأجرب فقط لو وجدت أن التطوع لهذه التجارب لا يحقق الإثارة المرجوة .. »

- « تجارب المخ هذه لا تعد بخير كثير .. تذكر ذلك المخبول (فرانسيس دويون) .. وتجربته المحرمة .. »

ابتلعت ريقى .. هذه من الذكريات القاسية بالنسبة لى .. لأسباب قوية اضطرت لقتل شخص ، لكن هذا كان دفاعاً عن النفس .. لقد كنت نهائى دانية لو لم أفعل .. لكنى لم أستطع قط أن أفخر بهذا .. كل أبطال القصص لا يقتلون أبداً ، وهذا من الأسباب التى تجعلنى لا أصالح بطلاً للقصص ..

وتأملت وجهى بعد حلقة الشعر التى أجريتها لمس .. لبدو

شرسماً ووغداً فلا ينقصنى إلا بعض الوشم على الذراعين العاريتين لأبدو كأحد النازيين الجدد أو مدمنى المخدرات فى الأفلام الأمريكية .. من الغريب أن بعض الناس يبدوون ويهوى للمنظر بعد إزالة شعر رأسهم ..

أبدو شرسماً ووغداً .. هذا رائع ..

قلت لـ (برنات) وأنا أحكم ربطة عنقى أمام المرأة :

- « مما يسعد قلب أى رجل أن يعرف أن امرأته قلقة بشئ .. فنكر يوم قررت تسلق (كليمنجارو Kilimanjaro) بنى دهشت لأنك كنت مصرة على أن أفعل هذا .. لكنى أفهم هذا الآن على ضوء (الظاهرة) .. أكره الزوجة التى تقول لزوجها : هلم أيها الرعيد .. لم لا تثب من القطار المصرع ؟ كيف تعتبر نفسك رجلاً من دون هذا ؟ »

ابتسمت بخبث ورسمت تلك (التشنج) الفاتنة على أنفها وهى تمشط شعرها أمام المرأة مستنقة الفجوة جوار كتفى :

- « لاحظ أننى أوصيتك بالسقوط تحت قطار مصرع من بقيقة واحدة .. »

ثم نظرت لانعكاسها في المرأة منبهرة وهتفت :

- « هذه هي الروعة التي لا يستحقها شخص فلن مثلك ..

الحلم الكندي الذي قرر أن يمشي على الأرض .. »

- « هذا الحلم الكندي قد فقد طغلاً منذ أسابيع .. »

- « لكنه ما زال حياً .. هل ترى الروعة ؟! »

إنها رائقة المزاج اليوم .. هذا يروق لي .. لقد مررنا
بأهام سود كقلب الكافر ..

ثم إنها توجهت للباب وفتحته ، وقالت :

- « لاحظ أنني لن أستطيع أن أكون هناك لأمسك بيدك
وأنت تحتضر .. لهذا أرجوك ألا تموت اليوم .. تخيل
أن تموت بين ذراعي (بارتلييه) المكتنزين المبتلين
بالعرق .. »

تخيلت الفكرة وارتجفت لها .. لذا وعدتها بأنني سأحاول
ما أستطيع ..

هناك في تلك الغرفة الواسعة المخصصة للاجتماعات جوار
مكتب المدير ، لم يكن هناك كثيرون . فقط الهوتدي والمدير
وممرضة حناء لا أذكر اسمها .. دعك من سكرتيرة (بارتلييه)
طبعا .. الغرفة أصلاً خاوية فيها منضدة صغيرة بحجم هذا
الكتيب الذي بين يديك .. وهناك نافذة عملاقة عليها ستائر
من الطراز الذي يطلقون عليه (فينيقي) . هناك مقعد
كمقاعد أطباء الأسنان .. ثمة ثلاثة أجهزة كمبيوتر كلها
مفتوح ، وشيء يشبه مصدر الكهرباء غير المتقطع UPS ..
لو كنت لم تراه يمكنك تخيل جهاز (سايكلوترون Cyclotron)
صغير جداً .. ماذا ؟ لم تر (السايكلوترون) أيضاً ؟ ولا أنا ..
لكن الأمر متروك لخيالك إذن فقد استنفدت مألدي من
كلمات !

حول كل هذا ومنه وإليه توجد ألحان شبكة من الأسلاك
يمكن تخيلها .. أنا لم أر غرفة المولدات في السد العالي
لكنها لن تختلف عن هذا كثيراً .. أسلاك لا تعرف متى
بدأت ولا كيف تنتهي .. تتابع المسلك منها فتجد أنه
تحول إلى مسلكين ينتهي كل منهما في المسلك الأول
بمعجزة ما ..

ومن جديد أخرج د (ترامب) مجموعة الأوراق وطلب منى أن أمهرها بتوقيعى فترددت . منظر هذه الأسلاك الرهيبة المتنفة كأنها ثعابين (بوا Bow) تريد خنقى جعلنى أتردد ألف مرة ..

قلت له فى كراسة :

- « برغم حضور ندوتك أمس لم أستطع فهم شيء .. سمعت أشياء أعرفها من قبل عن الوجدان الجمعى وكل هذا ، لكن لم أعرف ما تتنويه بالضبط .. »

وقف الهولندى فى وسط الغرفة فى وقار وأشار إلى سكرتيرة الوحدة التى تشغل جهاز تسجيل عملاقاً .

قال بصوت جهورى :

- « كل ما هو مطلوب منك أن تتلقى بثاً بالصور من عقل أحدهم . هذا البث سينتقل مباشرة إلى عقلك ، وسوف يكون عليك أن تتكلم وتسجل ما يقال .. طريقة الانتقال هى تلك الأقطاب التى متوضع على رأسك .. لهذا طلبنا منك أن تزيل شعرك لنقل المقاومة الكهربائية قدر الإمكان .. سوف

يصلك سيل من الصور والذكريات ، وكل ما عليك هو أن تسجلها .. »

هنا قال (بارتلييه) فى حذر :

- « يجب أن أنكر لك شيئاً هنا .. لا تنس أن سيل الصور والذكريات سيخرج منك إلى رأس الشخص الآخر .. توترت .. كنه إلا هذا .. »

قلت فى عصبية وأنا أنظر إلى الأوراق التى وقعتها :

- « أما هذا فلا .. إن أسرارى هى أسرارى .. لا أسمح بخروجها لأى شخص . حتى لو بدت الفكرة خيالية فلن أسمح بمجرد احتمال أن يحدث هذا ! »

رفع الهولندى يده بحزم وقال :

- « نحن لا نتحدث عن الذكريات الشخصية هنا ولكن

عن ذكريات الجنس البشرى ككل .. ذكرياتك كمصرى .. كعربى .. الوجدان الجمعى الذى نقل إليك عبر الأجيال ، فلا تخيل أننا سنعرف شيئاً عن رقم بطاقتك الانتمائية

أو رصيدك في المصرف أو ما قلته لزوجتك أمس .. هذه هي الأسرار التي لا نستطيع معرفتها .. دعك من أن عليك أن تتق بي لأن العقد يتضمن مليون دولار تعويضاً لدفعه أنا في حالة إذاعة أية معلومة لا تقبل إذاعتها . وأنا لا أتوى أن أقضى ما بقي من حياتي في حرب مع المحامين أو أن أبيع دارى الجميلة فى (أمستردام) .. «

بدا لى الأمر مقنعاً ..

قلت له وأنا أسترخى قليلاً :

- « ليكن .. والان من هو الشخص الآخر المحفوظ الذى سأعرف ذكريته النافهة ، ويعرف هو ذكريتى الثمينة ؟ »

كرر الهولندى فى عصبية :

- « قلت لك بما لا نتعامل مع ذكريتك .. هذه لا تهم أحداً .. ما نريده هو تراثك الجمعى .. »

أعدت سؤالى :

- « ليكن .. من الذى سأعرف تراثه الجمعى ؟ »

قال (بارتلييه) وهو يوقع بعض الأوراق بدوره :

- « لن تعرفه .. آسف أن أقول هذا لكن هذا يقسد التجربة .. لقد اشترط د. (ترايب) هذا .. قال إنه لو عرفت من تتبادل الخبرات معه فإن هذا يعطى أفكارك اتجاهًا مسبقًا يتفق مع ما تعرفه عنه .. هذه من لتجارب شائبة التصمية Double blind لو كنت تفضل هذا .. »

- « ولين هو إذن ؟ »

أشار الهولندى إلى كابل غليظ يجرى على الأرض وعاد يواصل كلامه فقلت فى غمض :

- « لا تقل إننى سأعرف خبرات كابل كهربي .. »

- « لا .. الكابل يمتد إلى غرفة مجاورة يجلس فيها موضوعنا .. هكذا لن نلتقيا .. فقط بعد التجربة .. »

ثم قال بلهجة عملية مصفقا بيديه :

- « والآن .. فلنبدأ .. »

هكذا راحت الممرضة التي اتضح أنها مارست العمل من قبل ، تثبت الأقطاب على رأسى .. وهى عملية سهلة لأنها

تثبت شفاطات ملوثة بكريم K-Y إلى رأسى الأصلع كما
تثبت تلك السمكة معصاتها إلى زجاج حوض السمك .. هذا
للمشهد - السمكة لا أنا - هو ما ألهم (باراكير) العظيم فكرة
شفط عدسة العين المعتمدة ..

أخذت شهيقاً عميقاً على حين ثبت (ترامب) ميكروفوناً
صغيراً إلى جوار فمى وطلب منى أن أسترخى على المقعد
الشبيه بمقعد طبيب الأسنان .. وأنا أمقت هذا المقعد لأنه
يوحى بطقوس مخيفة غامضة .. نوع من القرايين الوثنية
فى طقوس عبادة (عشخروت) .. يوحى باتهام الحيلة
والاستسلام المطلق لما هو آت ..

فجأة شيء ينفرس فى معصمى فأنظر له فى رعب ..

هذه إبرة .. لقد حققت !

قلت للهولندى فى ضيق :

- « هل سنبداً حقن عقارات الهلوسة ؟ قلت إنك ستعتمد

فقط على ... »

قل وصوته يزداد عمقا .. كله نضمة (لوكثاف) خفيفة ..

- « هذا (دورميكام Dormicum) ليس إلا .. لا يجب أن
تظل واعياً .. سندخلك فى نوع من السمنة .. لا توجد وسيلة
أخرى .. إن الوعي يعوق انتقال الخبرات .. إن الله »

4- قصاصات : مهمة في الفجر ..

إلى أين ؟ ما هذا الذي أراه ؟

الخامس والعشرون من فبراير عام 1964 .. سيظل هذا اليوم في ذاكرة أهلي كثيرا ..

ترجلت من السيارة وأخذت شهيقا عميقا ..

كنت أشعر بشينين .. الخوف والرهبة .. وفخر لا حد له ..

هواء الفجر البارد وتلك الرائحة لنهار لم يتلوث بعد ..
سوف تطلع الشمس بعد قليل لكنني أعرف جيدا أن احتمالات رؤيتي لها شبه معدومة ..

مشيت في ذلك العمر الطويل وحدي .. أصفى للأصوات القادمة من هناك .. تلك الأصوات الكريهة التي لم أعد أطيقها .. سوف يأتي شخص بعدى ليفعل كما فعلت أو ما هو الأفضل .. لكنني مهدت الطريق ..

ثمة أربعة حراس يقفون في الطريق وهم يدخلون الخائف للتبغ .. لا ترى منهم سوى الجنوات المنتقدة في الظلام .. لكنهم رأوا عويناتي التي تلمع في الظلام ورأوا السلاح في يدي ..

روايات مصرية للجيب .. صافري

٤٩

لو حاول أحدهم أن يمنني فسوف تحدث مجزرة ..

لكن أحدهم بنا مني وتعرف ملامحي .. أشعل لفافة تبغ وقدمها لي لكنني رفضت .. أنا لا أدخل ثم إني صصبي جدا إلى حد أنني لن أتمكن تصويبها إلى شفطي ..

قال لي :

« حقا سعيدا .. هل أنت واثق من قدرتك على القيام بهذا ؟ »

قلت في هذا :

« نعم .. »

« أنت تفهم .. لن نتمكن للمشاركة معك .. لا بد من نر بعض العيون في الزمان .. »

« ألهم .. »

وتعلمنا .. وشعرت به بيكي ..

ثم أرحته في تصميم .. وواصلت طريقى .. مررت بالآتين
الآخرين فتبادلنا النظرات .. ثم واصلت طريقى ..

الآن أرى المشهد كاملاً .. الخنجر ينغرس في صدري
ببطء .. أنا أكره هؤلاء القوم حقاً .. إنهم يندسبون لرضى
وعالمى .. إنهم يسلبوننى راحة البال ..

أسندت ظهري إلى الصود الرخامى .. وأخرجت من حزامى
قبلة يدوية ، وأزحت عنها زر الأمان ..

إنهم يسجدون على الأرض .. رعوهم جميعاً تلامسها ..
اعرف أن هذه الليلة مهمة لهم لأنها منتصف ذلك الشهر
الذى يصومون فيه .. وهذه صلاة الفجر كما يسمونها ..
سيكون دوى العملية مجلجلاً ..

نظرت لهم جميعاً .. شيوخ .. أطفال .. رجال .. كلهم
يتساوون عندى ..

لقد قال الحاخام (موشى ليفنجر) بن لرض (هرون) ملكنا
وإن أتباعنا دفنوا فيها .. كلنا يعرف هذا ..

أنا ولدت في الولايات المتحدة .. كنت أحضر اجتماعات
(كاهنات) العظيم هناك ، ويومها وضع يده على كتفى
وقال :

- « (باروخ جولدشتاين) . هذا اسمك ولستوف يكون
لك شأن عظيم . تذكر .. العرب يطلقون عليها اسم (الخليل)
برغم أنه لا مكان لهم في تلك الأرض .. هذه أرضنا وعليهم
أن يرحلوا .. »

ثم ارتحلت إلى إسرائيل وعشت في (كريات أربع) على
حدود المدينة .. كنت طبيياً وضابط احتياط في الجيش ،
لكنى ظنلت أحترق شوقاً من أجل لحظة كهذه .. خمسة
وثلاثون عاماً أنتظر لحظة كهذه ..

وها هى ذى قد جاءت ...

أنا الآن داخل الحرم الإبراهيمى كما يسمونه ..

الآن أقف القبلة ..

كنى الدوى مروغاً ولا بد أن بعضهم مات قبل أن يعرف
أن شيئاً ألقى عليه ..

هكذا ضغطت على زناد بندقيتي الآلية ورحت أطلق النار
على هذه الأجساد .. هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

صوت الطلقات مع الصراخ .. صوت الصدى في المدينة
الهادئة .. لقد توقف صوت الذي كان يفود صلاتهم فلا بد
أنه هناك بدوره . هذا على الأكل يريح أذني قليلاً

قنبلة يدوية أخرى .. واصلت إطلاق النار على هذه
الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

فيما بعد سيعرف أهلي أنني قتلت 44 فلسطينياً وحدي ..
وجرحت سبعين .. كل هذا خلال عشرة دقائق .. سوف
يحتفلون بي وسوف يتسلم لي ضريح في (كريات أربع)
يزوره اليهود في الأعياد ، وسوف يطلقون على لقب
(القديس) ..

إن الأمر سهل .. إنهم يتساقطون كالذباب .. أجسر على
أن أقول إنه ممتع كذلك ..

هناك فلسطينيون يتجهون لباب المسجد .. غير عالمين
أن الحراس أحكموا غلقه من الخارج ..

سأطلق الرصاص على هذه الأجساد .

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

يا للأسف إن طلقاتي قد نفدت .. مشكلة أية نشوة في
الحياة أنها تنتهي ..

سأفجر بعض القنابل اليدوية إلى أن ينتهي الأمر

للحظة ثبت - أنا (علاء) - إلى وعيي فنظرت إلى وجهي
(بارتلييه) و (ترامب) الرائعين بجوارى وصرخت :

- « أيها الأوغاد للشخص الموجود في الغرفة المجاورة !
الشخص الذي أقرأ خبرته الجمعية الآن ! »

قال (بارتلييه) فى لهفة :

- « ماذا يا (علاء) .. هل عرفته حقاً ؟ »

- « إنه الإسرائيلى (إبراهيم ليفى) ! ألم تحدثوا مواه ؟ »

قال وهو يربت على ذراعى :

- « هذا ما أردته بالضبط . أن تفهم تراثه ويفهم تراثك ..

إن التجربة ناححة كما هو واضح . فلندعها تستمر ! »

كدت أتكلم لكنى انزلت لعالم انعدام الوعى من جديد ..

5- قصصات : نهاية الحصّة الأولى ..

الثامن من إبريل عام 1970 ..

كم أحب طقوسى (الفانتوم) !

كفاءة هذه الطائرة عالية حقاً . القمرة مريحة . ثمة
أجهزة استشعار تنذرك بإطلاق صاروخ نحو الطائرة . دقة
عالية فى إصابة الأهداف .. إنخ هذا هو الترف الأمريكى
الحق ..

نخرق سرعة الصوت فوق سيناء متجهين إلى العمق
المصرى ..

فى تلك الأيام السعيدة قبل استكمال حائط الصواريخ
السوفييتى الرهيب كانت سماء مصر مفتوحة بالكامل لنا

كان بوسعنا الذهاب إلى أى مكان نريده ، ولم تكن طائرات
(الميج) المصرية قادرة على ملاحقتنا . إنها متخلفة عنا
بجيلين على الأقل .. فيما بعد حين وضعت شبكة الصواريخ
المخيفة صارت سماء مصر كلها محرمة علينا .. لم تعد
الذبابية قدرة على اختراق المجال الجوى المصرى . حاولنا

كثيراً منع المصريين من إنشاء هذا الجدار لكنهم استبسلوا ..
نعم اعترف أن هؤلاء القوم حين يريدون شيئاً

وهكذا جاء (أسبوع الفاتنوم) الشهير حين راحت
طائراتنا تتساقط كالذباب ، وصدر أمر يمنع اختراق العمق
المصرى .. أنظر إلى الطائرات الصديقة المحيطة بى ..
تشكىلى الذى أعرفه وجهها وجهها .. لقد خضنا ساعات
تدريب طويلة ونعرف أن هذه المهمة بسيطة لكننا ندرك
كذلك أن الخطأ سيكون فادحاً ..

نهر قناة السويس ..

مدفعية مضادة للطائرات تطلق علينا من حافة القناة من
المواقع المصرية ، لكنها تنفجر قبل أن تقترب منا .. هذه
هى مصر كما رأيتها مراراً عديدة من قبل .. أحفظ كل شهر
منها .

الهرم الذى بناه أجدادى .. المصريون يزعمون أنهم من
بنوه لكننا نؤمن بما قاله لنا أبونا .. الهرم ملكية يهودية كاملة
وسيتلى اليوم الذى نطالب به . يمكن كذلك أن نشكك فى أنهم
صنعوه بطرق أكثر مراوغة .. نتحدث عن العضائين الذين
جاءوا من كوكب آخر لينوا الهرم .. هم سيلتقطون الخيط

بحماسة ويريدونه لما فيه من إثارة .. قل أى شيء . المهم
ألا يقتنع المصريون بأنهم قالرون على معجزة مثل بناء
الهرم .. خذ منهم ماضيهم وأعطهم حاضراً تصناً ومستقبلاً
غامضاً ..

هذا هو النيل .. شريان حياة مصر .. الفراغنة الذين
عاملونا بظلمة واستعبدونا .. الشخصية اليهودية لها مزية
مهمة ، هى أن الزمن لا يلعب معها أى دور . إنها تنتقم
من جريمة ارتكبت ضدها منذ قرون ، ولا تنسى ما حدث .. تطلب
بأشياء وعدت بها منذ آلاف السنين .. فى أعماق حصار
(بابل) وقعة (ماسادا) ودبابات النازى فى (وارسو) ..

لكن الأمور اختلفت اليوم .. اليوم لن نعذب - بفتح الذال -
بل سنعذب - بكسر ها - لن نخاف بل سنخيف .. لن نقتل -
بفتح القاء - بل نقتل - بكسر ها - ..

هذه هى معالم البلدة . محافظة الشرقية كما يقول
المصريون ..

الريف هادئ مسالم من تحتنا .. مربعات خضراء تنتظر
لمسة من النيران .. نحن (الفالكيرى Valkyrie) القادمون
من السماء لنحيل الأرض ناراً .. (فاغنر Wagner) وصف
بموسيقاه كيف تنقض بنات (أودين) أو (الفالكيرى) من

السماء ليخطفن الارواح إلى (فالهالا Valhalla) .. نحن نكره (فاجنر) لأن النازيين أحبوه . لكن لا ننكر أنه عبقرى فى هذه المقطوعة بالذات ..

هذه هى القرية ..

هذه هى المدرسة ..

بناية متداعية فقيرة لو تركناها عشر سنوات أخرى لسقطت وحدها رباه ! كم هم فقراء هؤلاء المصريون !

لا بد أن الأطفال فى دروسهم الأول الآن .. أنا أشعر بالجوع فلم ألتهم إلا قطعة بسكويت قبل بدء المهمة . لكننى سأنتهى سريعاً وسوف يكون إفطاراً شهياً بحق . أشهى إفطار فى العالم هو ما تتناوله بعد القتل ..

الطائرة القاذفة تتقدم وتلقى حمولتها من حالق ..

ترى هل شعروا ؟ هل رأوها وهى تقذف ؟

لا اعرف .. لكن دور الطائرة التالية جاء ..

المزيد من القنابل بهوى فوق البناية ..

زهرة الذهب تشتعل .. تتوهج ..

الدخان يطو لكبد السماء ..

لُرب فمى من الميكروفون وأطلب (عموس) فى طقوته :

« مهمة ناجحة .. يكفى هذا .. لا نريد أن تتبخر البناية .. »

وتتلاقى طائرات التشكيل وتدور حول القرية ثم ننطلق عائدين إلى إسرائيل ..

فيما بعد سوف يملأ المصريون الدنيا صراخاً . ثلاثون تلميذاً فى المرحلة الابتدائية هلكوا وحلّسون فى الصف الدراسى فى مدرسة (بحر البقر) . سوف تنهال برقيات الاحتجاج والإدانة . كل العالم سيذكر بعينين ذاهلتين ما حدث .. والحقيقة أن هذا كل شيء .. فعلاً كل شيء .. الكل يقبل الأمر الواقع وحقائق القوة . فى النهاية تمت الغارة وانتهت .. ونسى العالم الأمر برمته . لقد نسوا إلقاء قبلة ذرية على مدينة كاملة فلماذا لا ينسون هذا ؟

الحقيقة فى هذا العالم : لا يوجد عقاب على جرائم الحرب .. لا أحد يعاقب إلا إذا أراد الكبار عقابه ..

سوف يزعم وزراؤنا كالعادة أن المدرسة كانت موقفاً عسكرياً . وسوف يزعم البعض أن هناك محطة صواريخ بجوارها . إلخ .. كل هذا هراء .. العالم كله يعرف أن هذا هراء لكنه سيصمت ..

6 - قصصات : مقتل مذيعة أطفال ..

الحادي والعشرون من فبراير عام 1973 ..

خطأ بسيط .. لكنه خطأ قاتل ..

من جديد أنطلق بطائرتي للفتنوم فوق سيناء .. هذه المرة أنا أدعى (باروخ بالتالي) .. لم أقم بالغارة على (بحر البقر) لكننا كل واحد كبير .. نحن القوة التي تحرك إسرائيل إلى الأمام ..

في هذه المرة مهمتي محددة وبسيطة ..

هناك طائرة اختُرقت أجواءنا .. طائرة مدنية .. عرفنا من الاتصال بقائدها أنها ليبية .. قائدها فرنسي بالمناسبة ومن الواضح أنه ضل الطريق فدخل مجالنا الجوي ..

طلبنا منه أن يعرف بنفسه فعرفنا وكانت معلوماته دقيقة واضحة ..

اتصلنا بالقيادة .. ماذا نفعل ؟ من المنطقي أن نرافقه إلى أن يهبط في أحد مطاراتنا ..

كان الأمر مجرد انتقام صغير توجهه إسرائيل لمصر بعد تصاعد عملياتها فيما يدعى بحرب الاستنزاف .. المصريون يهرون القناة مرتين على الأقل كل أسبوع لينسفوا سيارة أو يقتلوا جندياً .. (عبد الناصر) يقول للفلسطينيين : « فقط أريد أن أسمع طفلة واحدة كل يوم تطلقونها أنتم داخل الأرض المحتلة .. هذا يكفي كي تظل القضية حية .. »

كان لابد من درس بسيط .. وهذا هو الدرس ..

فيما بعد سيكتب المصريون قصائد مثل : « الدرس انتهى لموا الكراريس » و « محافظتي الشرقية ومدرستي بحر البقر الابتدائية » .. ثم ينسى العالم كل شيء ..

وحين هبطت الطائرات أخيراً ترجلت من طائرتي ..

وبرغمي صعدت على الجناح وطبعت على جسم الطائرة الساخن قبلة حب ..

جرت سلسلة الاتصالات المعروفة ، حتى بلغت أعلى مستوى في القيادة . ومن (موردخاي جور) قائد القوات الجوية الى رئيس الأركان (ديفيد أليعازر) نفسه . لا بد أنه صحا من النوم متعكر المزاج مزمجرًا .

قل لمن اتصلوا به :

- « هذه طائرة تجسس إن قاعدة (بنر سبع) قريبة .. »

قلوا له انه لا يوجد أى دليل على ذلك ، فقل فى عصبية :

- « إذن هى مهمة انتحارية ينفذها بعض الفدائيين على متنها .. »

قلوا له إن احتمال ذلك ضعيف جدًا .. موقف الطائرة واضح وقائدها فرنسى و

- « أسقطوها حالاً ! »

جاءتى الأوامر وأنا أخلق على مسافة من الطائرة .. كان هذا جميلاً .. فليل من الطيارين من تتاح له فرصة إسقاط طائرة مدنية . وأن يكون هذا بأوامر عليا ..

هكذا ابتعدت عنها ونقلت الأمر إلى (روزرين) زميلى ..

الطيار الفرنسى يميل ليرفع أحد الجناحين لأعلى علامة على الاستسلام كما يقضى القانون الدولى .. الحقيقة أن هذا الفتى فعل كل ما بوسعه ليخبرنا بحسن نيته .. لكن قرار الإعدام قد صدر . يكلم برج المراقبة . كانت هذه هى اللحظة المناسبة .

أطلقت صواريخى وكذا فعل (روزرين) العزيز ..

فقط سمعت الطيار يقول فى اللاسلكى :

- « إنهم يضربوننا بالصواريخ ! »

كان الانفجار فظيلاً . للحظات استحال ليل سيناء شمساً ساطعة . وتناثرت الشظايا الحديدية فى كل صوب ..

وفى (واشنطن) عرفت (جولدا مائير) بالقصة فور حدوثها ، وقد التف حولها الصحفيون وسألوها عن رأيها .. قالت :

- « لانتهمنا وجهة الطائرة .. المهم هو هدفها ! »

- « وهل يمكن أن تكرر هذا العمل مرة أخرى ؟ »

قالت فى ثبات :

- « نعم .. مراراً !! »

كنت أعرف وأنا عائد إلى القاعدة ما سوف يحدث .. شجب .. تنديد .. إدانة .. ربما يحتاج الأمر إلى اعتذار بسيط من الحكومة الإسرائيلية .. ربما يوجه لنا اللوم برغم أن أوامرها صريحة .. ثم ينتهى الأمر .. نحن أقوى من القانون وأقوى من العقاب ..

فيما بعد سأموت أنا حين يضرب صاروخ (سلام 6) مصرى طائرتى فى حرب 1973 . وسوف يموت (روزين) فى عملية للجيش الإسرائيلى عام 1977 .. لكن لا تقل إن هذه عدالة شعرية من فضلك .. لا بد أن أموت يوماً ما .. ألا ترى هذا معي ؟

إن واحداً من أشهر طيارينا ، وقذى أطلق على نفسه اسم (مناحم جولان) - معتبراً نفسه قاهر (الجولان) السوري - هو اليوم من أهم منتجى السينما فى (هوليوود) وهو صاحب شركة (كونان Conan) ، التى يشاهد العرب أفلامها ويستمتعون بها ، ويلتقون به على شاشات برامجهم ..

قد ينتهى الطيار محترقاً وقد ينتهى الطيار فى (هوليوود) .. لا مشكلة ..

لم تكن نعرف أن وزير الخارجية الليبى (صالح بو صير) كان على متن الطائرة ، كما كانت هناك مذبحة مصرية تخصصت فى برامج الأطفال اسمها (سلوى حجازى) وكان الأطفال المصريون يهيمون بها حباً .. حسن .. لا بد أن أشخاصاً مهمين جداً كانوا ضمن المائة والسنتين شخصاً اللذين تنبثرت أشلائهم على رمال سيناء .. لكن هذه ليست مشكلتى ..

ليس هذا سوى مسمار يدق فى نفسية العرب .. والعلوية ليست ذات تأثير عسكرى على الإطلاق ، لكنها عظيمة الأثر من الناحية النفسية ..

فلنكن حذراً فى كل بيت عربى .. إلى الأبد ..

7- قصاصات : القتل بلا كراهية ..

يونيو 1982 ..

مارالت (بيروت) تقاوم .. الحقيقة أننا توقّعا ألا يدوم
الحصار كل هذا الوقت .. حسبنا أن الفلسطينيين سيستسلمون
لنا خلال شهر على الأكثر لكن الحصار طال وقد بلغت
روحنا الحلقوم ..

هذا الحر لا أطيق الحر إنه يلتصق بقميصك وثيابك
وروحك ..

ثم للذهاب .. لشد ما يضايقتني الذهاب ..

الهواء الساخن حول المدينة يجعل الصورة متموجة كأنك
تراها على صفحة الماء ..

في كل مكان نجد الفلسطينيين .. إنهم دائماً هنالك .. ألن
ينتهوا أبداً ؟ ألا يستسلمون ؟

نحن لا نرفض الحياة معهم .. هكذا قال (بيجين) بوضوح
تام لكن بشرط واحد هو : أن يعترفوا بأنهم تحت رحمتنا ..

لماذا لا يعترفون ؟

روايات مصرية للجيب .. سفاري

٥٩

الهاتف للميداني يدق .. أمسك بالسماعة وهي تنزلق بفعل
العرق ..

(أرييل شارون) قائد العمليات على الخط من الناحية
الأخرى .. (شارون) يملك أكثر لسان سليط في القادة هنا ،
ومن النادر أن يقول جملة واحدة دون سبة أو سبتين مما
يعاقب عليها القاتون .. من المثير أن ترى شخصاً يتفق
مظهره مع مخبره إلى هذا الحد ..

قال لي بطريقته العذبة :

- « ماذا تنتظر أيها (الحلوف) بالضبط ؟ ألم تقطع الماء
عن المدينة ؟ »

قلت في حذر وأنا أجفف العرق المحتشد على حاجبي :

- « أنت لست معنا هنا .. لا تتصور حرارة الجو .. أنا
لا أبالى بهؤلاء الفلسطينيين لكن .. تصور قطع الماء عن
الأطفال في هذا الحر .. »

في عصبية أطلق بضغ شتائم تخص أبي وأمي .. ثم أردف :

- « لهذا السبب بالذات لا بد من أن تقطع الماء حالاً .. هل
انضمت إلى جمعيات حقوق الإنسان ، لم تنوى العمل كمريلة ؟ »

- « لا هذا ولا ذاك .. سأقطع المياه .. »

أحياناً أشعر بأن هذا الرجل ليس آدمياً، وإنما هو
(مارس Mars) إله الحرب عند الإغريق .. كلن لا ينتعش
إلا مع رائحة البارود والدماء وصوت الصرخات ..

سيكون وقت الفلسطينيين واللبنانيين عصيراً .. خاصة
حين يستمر انقطاع المياه أياماً بل عدة أسابيع .

أنا يهودى شرقى من اليمن .. (سيفارديم Sephardim) ..
ليس من حقى إلا أن أعمل كعامل بناء أو أى عمل غير
مهم .. منزلى ضيق رخيص .. على حين يستحوذ اليهود
الغربيون (الأشكيناز Ashkenazi) على كل المناصب
المهمة .. كل القادة جاعوا من شرق أوروبا .. وهم
يعتبرون أننا أقل منهم ذكاء .. بل إن أحدهم قال أننا ننتمى
للقرون السادس عشر

أخذت عربة سبراى طلاء، وفرغت حروفاً فى قطعة من
الورق المقوى، ثم خرجت إلى أحياء (حيفا) الخلفية
ورحت أطبع هذا الشعر على كل جدار :

Ashke = Nazi

هكذا قمت بتقسيم الاسم لأل على أنهم نزيون لا يختلفون
فى شيء عن معيونا ..

رحت أطبع الشعر عدة مرات على عدة جدران ، حتى
فوجئت بأحدهم يمسك بى من ياقتى ..

استدرت لأرى مجندين يبدو واضحاً من ملامحهما أنهما
من (لعدو) .. من الأشكيناز ..

هتف أحدهما وهو ينظر لى فى توحش :

- « أنت أيها الوغد ! تتهمنا بالنزوية ؟ هل أنت عربى ؟ »

وقال الآخر :

- « فعلاً ملامحه عربية ! »

وقبل أن أتكلم وجه لى ركلة فى أسفل بطنى بالحذاء
للعسكري الثقيل .. ثم رفعنى من ياقتى ووجه أعنف لكمة
ممكنة إلى نقى .. فسقطت أرضاً ..

لكن الحفل كان فى بدايته ..

إننى جسد معوم الحيلة يرقد على الأرض ..

إننى آى !

الجمعة .. التاسعة من إبريل عام 1948 ..

عملية العمليات كما قيل لنا ..

يجب أن نكون حذرين وألا نرتكب أية أخطاء ..

كذ في الثانية بعد منتصف الليل تتقدم سيارتنا في الظلام .
الفضل وقت لمهاجمة خصمك هو ما قبل الفجر بقليل .. ساعة
الذنب كما يقولون .. حين يكون خصمك في أضعف وأوهن
حالاته ..

أنوح ببندقيتي للرفاق فيلوحون لى ..

من بعيد أرى المدرعات تتقدم . جماعة (شستين Stern)
تلحق بنا وأنا أعرف أن هؤلاء القوم لا يمزحون . ومن
الناحية الأخرى تتقدم (الإرجون Irgun) .. رأيت صديقي
(أموتاي) يفك السونكي عن ببندقيته فنظرت له بدهشة ..
قال وهو يطلق البندقية :

« سأقتل بالسلاح الأبيض فقط .. إن تأثيره النفسي

مروع .. »

من بعيد تلوح القرية النائمة .. ليست نائمة تمامًا ..
هناك أضواء وصوت موسيقا .. لابد أنهم يرقصون
(الدبكة) في مكان ما . صحت منادياً (عزرا) :

« هناك حفل زفاف يا (عزرا) .. سنكون أول المهنيين ! »

أنوح ببندقيته في الهواء وهتف !

« سيقصون كما ينبغي الرقص ! »

هذه قرية مسالمة حقاً .. من المؤسف أنها قرية مسالمة ..
خطوها الوحيد هو أنها تقع ما بين (تل أبيب) و(لورشليم) ..
لقد جاءت في المكان والزمان الخطأ .. والحقيقة أن موقعها
كان يصلح رابطاً ممتازاً بين البلدين المهمتين ، أو - كما كان
الكثيرون منا يفكرون - تصلح مطراً ممتازاً ..

وعلى أبواب القرية ترجلنا وانطلقنا .. سيكون عددنا
ثلاثمائة مقاتل ..

وانطلقنا إلى الداخل ونحن نطلق الرصاص كما يفعل
أمريكي مخلص في يوم عيد الاستقلال .. كل من قابلناه
يتحرك أردينا أرضاً .. حتى العاشية .. حتى الكلاب ..

أطلقوا النار على هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

بينما راح زملائي (الهاجناه Haganah) الشجعان يلقون
بقتلة يدوية داخل كل بيت ..

أطلقوا النار على هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

تحول المشهد إلى ملحمة من الصراخ والعيول والألم ..
النار تتشب في كل صوب .. لا مقاومة .. هؤلاء الفلاحون
المسالمون لا يعرفون عن الحياة أكثر من أشجار الزيتون ..
بينما رجالنا محاربون على أعلى مستوى ..

أطلقوا النار على هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

إن تعداد هذه القرية لا يتجاوز الستة ، لهذا على كل
واحد منا أن يقتل اثنين .. هذا لن يكون صعباً ..

لا تستعمل اسم (دير ياسين) من فضلك .. هذا الاسم
لا وجود له عندي .. فقط ساستعمله في هذا السياق كنوع
من المجاملة لك ، وبعد هذا تنصاه تماماً ..

أنا لا أحمل لهؤلاء القوم مشاعر شخصية .. لنقل إن هذه
عملية جراحية الهدف منها إثارة أكبر قدر من الهلع ..
وفيما بعد قال مهندس العملية (مناحم بيجين) - الذى نال
جائزة (نوبل) للسلام - إنها كانت أهم عملية نقوم بها .
وإن كل من يقول غير هذا منافق كبير . سوف تثير ذعر
العرب وسوف يفرون من ديارهم فلن يبقى من ثمانمائة
ألف عربى إلا مائة وخمس وستون ألفاً .. الحقيقة أن هذه
العملية تمثل الميلاد الحقيقى لدولة إسرائيل ، وسوف
يعتبرها مفكرون إسرائيليون كثيرون (عملية إسرائيلية)
كبرى .. لم لا ؟ ألم تقدم المأوى لشعب الله المختار ؟

كنا ندخل كل بيت فنوقف أفراد الأسرة وجوههم إلى
الحائط ، ثم نطلق الرصاص عليهم من الخلف . الحقيقة أن
هذا كان أسلوبنا خاطئاً لأن عدداً كبيراً من الأطفال نجا حين
سقط الكبار فوقهم . وهؤلاء حكوا أشياء كثيرة ..

الآن يمارس الأصدقاء الأعزاء كل الأساليب الشنيعة التى
تسمع عنها . إن السونكى يؤدى عملاً جميلاً هنا كما

قال (أموتاي) . لقد شق أحدا بطن سيدة حامل بالكامل ثم تركها في هذه اللحظة وثبت أختها نحوها وراحت تحاول إخراج الجنين من بطنها ليظل حيا .. أثار هذا ثائرة الزميل فشق بطن الأخت ، ثم أمسك الجنين من قدميه وطوَّحه في الجدار المقابل ..

السونكى أيضا يمكنه أن يشق رجلاً إلى نصفين .. بالطول !

واستمر الحفل بضع ساعات وفي نهايته جمعا من بقى حيا في القرية وأوقفناهم صفاً وأرغمناهم على حفر القبور لأنفسهم ثم أطلقنا الرصاص عليهم .

كنا منهكين حين ركبنا سيارتنا عاتدين عند الظهيرة .. منهكين جائعين لكننا نشعر بسعادة لا حد لها .. سعادة الجندى الذى أنجز واجبه المنزلى ..

كنت غارقاً في الدماء الجافة ، وسألت نفسى بينما هواء أرضنا يلثم وجهى . ما هذا الذى فعلته وكيف ؟ هل أنا بهذه القسوة ؟ بالعكس . مازلت أعتبر نفسى كأننا رومانسياً رقيقاً هناك سببان لما فعلت : أولاً أنا مؤمن بأن هذا ضرورى كي توجد إسرائيل هذه عملية جراحية تنسم بالقسوة لكنها جهورية . ثانياً : أنا لم أستطع قط أن أعنبر العرب كأنات بشرية ..

فيما بعد سنقول للغربيين - غير المباليين في الواقع - إننا فعلنا هذا لأن هذه القرية معقل للإرهابيين العرب الأجانب .. جحافل من السوريين والعراقيين تأتي هنا لتهاجم نساءنا وأطفالنا .. هذه الحجة قديمة جداً كما ترى ولسوف نستعملها بلا انقطاع خمسين عاماً أخرى ..

فيما بعد سوف تسوى البلدة بالأرض كي تزول من على الخارطة ، ثم يأتي لليهود المتدينون من روماتيا وسلوفاكيا ليعيشوا هنا .. فيما بعد سوف تتسع مساحة (اورشليم) لتشملها ، وتصير (دير ياسين) مجرد مساحة بين (جيفات شول بيت) ومستوطنة (حار نوف) .. والآن لا تكلمنى عن (دير ...) .. ماذا ؟ ماذا كنت تسميها ؟

كانت (سارة) تنتظرنى في المعسكر وفى عينيها لهفة الحبيبة والأم ..

عانتها .. برغم أننى لم أغتسل بعد ..

سيولد ابننا من جيل (الصبرا) أول جيل لليهود على أرض إسرائيل .. (صبرا Sabra) بالعبرية معناها (الصبر) .. خشناً موطناً من الخارج لكنه من الداخل مفعم بالرحيق ...

- « شد ما يقتلنى الظمأ ! شد ما يقتلنى الظمأ ! »

كان هذا آخر ما قالته لأنها فى اللحظة التالية سقطت على الأرض .. ولم تنطق بحرف ..

جثوت جوارها دافع العينين لا أدري ما أقول .

الحقيقة أنها سعيدة الحظ . أكثر منا نحن الأحياء .. كل من يموت قبل أن يقع فى أسر البابليين سعيد الحظ . وقد ظلمت وقتاً طويلاً أنظر لجنتها .. وقلت لنفسى : « لن أنسى ما حدث .. سوف أنتقم ولو بعد ألف عام . »

ليس العراقيون اليوم ممنولين عما فعل البابليون ، لكن ليس بالنسبة لنا .. ما زالت شهوة الانتقام موجودة وحية ..

بشكل أو بآخر كنا ندرك أن العرب ليسوا هم الممنولين عن تعاستنا .. لكن التعاسة تشبه اللغة التى نتحدث عنها الأساطير .. لا يد من أن تعطيها لأحد سواك كي تتخلص منها ..

8- قصاصات : ماسادا وبابل .. إلخ ..

العام 586 قبل الميلاد ..

الجوع يمزق أحشائنا الأطفال يعانون الظمأ .. إن قومي يتصارعون فى الطرقات على قطعة خبز وجدوها على قارعة الطريق ، لقد سرق أحدهم حمار (أفرايم) والتهمة لكننا قضنا على السارق وشنقناه بعد يوم واحد وجدنا أن هناك من التهم السارق ..

كم مر على هذا الحصار ؟ العام والنصف ؟

هؤلاء البابليون مصريون على قهر تمردنا .. لن يتراجعوا أبداً ..

فى الشوارع تمشى وسط الجثث فلا تجد موضع قدم .. لقد بدأت الرائحة تخلق الأنفاس ، ولعلك شاعر بأنك إذ تتنفس إنما تتشق الوباء داخل صدرك ..

لماذا لا يدفعهم أحد ؟ لأن اللحادين ماتوا .

وحين عدت إلى الدار وجدت زوجتى تقف متحاملة جوار النافذة . كلمتها فلم ترد . كانت تلتهم قطعة من الطين الجاف ، وقالت لى بصوت مبحوح :

- « لماذا ينبغي للعرب التوصل إلى السلام ؟ لو قدر لي أن أكون زعيمًا عربيًا لما تصالحت مع إسرائيل على الإطلاق . هذا أمر طبيعي . نحن قد استولينا على بلادهم . وهم لا يعنهم في شيء أن الله وعدنا بها لأن دينهم غير ديننا . لقد كانت هناك معاداة للسامية ومسكرات اعتقال نازية ، ولكن ذلك ليس ننبهم . هم لا يرون إلا شيئًا واحدًا هو أننا جئنا إلى هنا وسرقنا بلادهم ، فلماذا ينبغي عليهم قبول هذه الحقيقة ؟! »

ديفيد بن جوريون مؤسس إسرائيل

هكذا تكلم معلمنا العظيم (بن جوريون Ben Gurion) .. مشكلة العرب هي أنهم تواجدوا في المكان الخطأ والزمن الخطأ . وكتبوا ضطاءً مشتتين بطريقة تغري أي شخص عاقل بأن يعدي عليهم . حقًا لا نستطيع أن نفهم كيف تتحمل هذه الكتلة البشرية التي تربو على مائة مليون تلك الإهانات المتوالية من خمسة ملايين مهاجر ؟ إن قصة (دافيد) و (جوليات) تتكرر .. الفتى الضئيل الذي هزم الصليبي المرعب إذ وجه ضربة بالمقلع إلى عينه بعض ما فعله يفوق الاحتمال البشري لكنهم يتحملونه .. هناك من يرى أننا كررنا معهم ما حدث لنا .. صارت الضحية جلاذاً أكثر قسوة ..

حسن .. لن أختلف حول هذه النقطة كثيرًا .. لكنني أرى أن العذاب يجب أن يذهب إلى شخص ما .. وبكل تأكيد لا أرغب في أن يكون هذا الشخص نحن ..

عام 73 قبل الميلاد ..

نحن الأقوي !

لقد تسللنا إلى قلعة (ماسادا Masada) المطلّة على البحر الميت .. تم هذا في ظلام الليل .. لم يشعر بنا أحد . نفذنا الخطة المطلوبة .. كنا نعرف أماكن الحراس . وقد قتلناهم جميعًا في صمت .. بعد هذا بدأ المرح الحقيقي . لقد كان أغلب أفراد الحامية الرومانية نائمًا ..

هكذا تسللنا إلى مخادعهم . مضحكون هؤلاء الرومان حين يموتون . إنهم يقولون كلامًا كثيرًا باللاتينية ثم يصمتون إلى الأبد .. هكذا رحلنا نقتلهم واحدًا تلو الآخر ..

هناك من صحا وحاول المقاومة لكنه لم يستطع أن يجد الوقت كي يمسك بسيفه ..

استمرت العملية خمس ساعات وفي النهاية سيطرنا على القلعة تمامًا .. ورحلنا نحتفل بهذا ..

قال العجوز (دانيال) وهو يجرع الماء بيده التي ترتجف ،
حتى بلل ثيابه كلها :

- « لقد قاربنا خطأ كبيراً يا (أليغاز) .. إن الرومان
لا يرحمون ولمسوف بأنون للانتقام .. »

قلت له في غيظ :

- « ألن تكف عن هذا أيها العجوز الأحمق ؟ في لحظة
الانتصار لابد من أن ينشق غراب بين في مكان ما .. لقد
نبهنا الرومان وهذا كاف .. »

قال العجوز وقد أتم عملية الشرب الشاقة :

- « لكن الرومان حتى هذه اللحظة قد تركونا نمارس
حريتنا الدينية منذ حدث ذلك التمرد و صلب (جانيوس)
ثمانمائة منا لم تحدث أية مناعب أخرى .. نحن الذين
أضعب الوقت في حروب داخلية وصراعات أهلية .. أحياناً
أعتقد أن ألد أعداء اليهودي هو يهودي آخر .. لقد مات
مائة ألف يهودي بأيدينا نحن لا بأيدي الرومان .. »

كنت في حالة من السأم ، وقد لعبت خمر النصر برأسي
فلم أزد المزيد من الجدال ..

قلت له وأنا أعتلي أسوار القلعة لأطل على البحر
الميت :

- « قلت لك أن تخرس .. »

قرر أن يبتعد ، وقد شعر بأن كلمة أخرى ستجعلني أطيح
عنقه من فوق رأسه .. فقط قال وهو يبتعد :

- « حينما يعود الرومان سوف تسيل دماء أكثر فأكثر .. »

سبعة أعوام كاملة !

سبعة أعوام من الحصار !

من فوق أسوار القلعة أرى الجيش الروماني كله تقريباً
يقف هناك .. وقد أتممت دروعه في الشمس وشكل للمربعات
الشهيرة . فعلاً هو منظر يبعث قشعريرة باردة في العروق
فقط (هانيال) كان الرجل الوحيد الذي لم يرهبه هذا
المنظر في التاريخ كله دعك من اللغة اللاتينية ذاتها حين
تخرج من القادة .. فتشعر بأن لها رنين القدر ذاته .

لقد مات للعجوز (دانيال) ..

مات منذ عامين من فرط السغب .. والحقيقة أنه سعيد
الحظ لم يعش ليشر بالعذاب الذي نمر به كل يوم من
فرط السغب والظما . هناك يهود كثيرون قتلوا أطفالهم
وأكلوهم .. هذا شيء مفهوم بالنسبة لى ..

تبا ! كل تاريخنا هو الحصار .. محاصرون طيلة الوقت .. لهذا
سوف يلتذ كل يهودى باللحظة التى يحاصر فيها شيئاً ما ..
جائعون طيلة الوقت لهذا سننتشى حين نجيع الناس ..

الآن المنجنيق يلقف المدينة ..

من بعيد ترى تلك الكتلة الضخمة المشتعلة بالنيران تطير
فوق الرعوس . لا تعرف أين تهوى .. فوق رأسك .. فوق
رأسى ؟ فوق رأس أكثر من أحببت .. لا تعرف ..

وحين تهوى فوق أعز أصدقائك تتنفس الصعداء لأنك
نجوت هذه المرة ..

كتلة أخرى ..

كتلة أخرى ..

هؤلاء القوم لا يتعبون كما يبدو لى ..

ثم بدأت الأبراج العملاقة المخيفة تزحف زحفاً حى تلتهم
بالأسوار .. الأرض تهتز تحتها كأنما هو زلزال وشيك .

طقوس حصار المدن القديمة يتكرر حرفياً .. سوف نقتل
أول موجة بشرية وسوف نسكب الزيت المغلى - لو وجدنا
بعضه - على أول من يأتى .. ثم بعدها يصير هجوم الذهب
لسرع مما نقدر على صدده .. وعندها نسقط .. تسقط القلعة ..
سوف يربطون نساءنا بحبال الليف من أعناقهن ليضعن فى
سوق العبيد ، أما نحن فلمسوف نصلب عدة أيام لأن الرومان
لا يهودون القتل السريع ..

فى داخل القلعة اجتمع حكامونا .. كان قرارهم واضحاً :

- « لن يأخذنا الرومان أحياء .. »

- « ولكن كيف ؟ سوف يبقى منا من لا يستطيع القتال . »

- « الحل هو أن نقتل بعضنا ! »

وكانت الفكرة رهبة لكن لاوقت للتفكير فيها ، لأن قذائف
المنجنيق تهوى بلا توقف . وهدير الأبراج الموشكة على
الالتحام ينذر بأن الوقت قصير جداً ..

هكذا لم نتشاور كثيراً وانطلقت لنا بسيفى لقتل من وجدت
من نساء وأطفال يهود ..

كان عملاً قاسياً على النفس لكنى أنجزته بنجاح ..

عشرة من أصدقائي راخوا يقتلون الشيوخ والمحاربين الآخرين . ثم راح كل منهم يقتل صاحبه .. فى النهاية - بعد قتل متواصل استمر نصف الساعة - لم يبق سوى وصيقي الصدوق (ديفيد) ..

وقفنا والسيف فى يد كل منا يقطر دماً . كنا نلهث فى إرهاق ونظرة حيرى فى عين كل منا ..

قال لى وهو ينزل سيفه :

« هلم (أليعازر) .. لتفعلها أنت .. »

كان هذا كرماً منه الحقيقة أتنى لم أتصور أن أقف منتظراً حتى يغمد أحدهم سيفه فى جسدى .. هكذا وقف منتظراً فطوحت بسيفى فى الهواء وأطرت عنقه ..

الآن جاء دورى . أنا آخر من بقى فى القلعة ..

وضعت السيف على الأرض ونصله لأعلى وقررت أن أهوى بصدرى فوقه ..

فيما بعد سوف يقتحم الرومان القلعة ليجدوا أننا جميعاً موتى . لسنا جميعاً .. إن اليهود لم ينقرضوا من

على وجه الأرض ، مازال هناك أحياء فى القلعة وهم الذين أفلتوا من الانتحار الجماعى ..

وسوف تبقى عقدة (المسلدا) فى ذهن اليهود أبد الدهر .. عقدة الحصار .. الخوف من الحصار . ومن الأماكن المغلقة .. ولهذا سوف تجد ممراً خارجياً لكل حارة يهود .. ولسوف تجد مهرباً سرياً لكل (جيتو Ghetto) يهودى ..

سوف تتخذ الحكومة الإسرائيلية قلعة ماسادا مزاراً سياحياً ، وسوف يجلبون لها التلاميذ والجنود ليقسموا أنه لن تتكرر الماسادا ثانية ..

لن تتكرر ثانية ...

لن تتكرر ثانية ...

9- قصاصات : ابن عرس والدجاج ..

السادس عشر من سبتمبر عام 1982 :

من الغريب أن شهر سبتمبر (أيلول) لا يمر بخير على الفلسطينيين لهذا ..

يقف (شارون) قائد وحدة العمليات الخاصة (101) مبرزاً كرشه العظيم الذي يفخر به واضعاً قبضته في خصره . الهواء يطير خصلات شعره الأبيض على وجهه . في كل صورة رأيتها له كان شعره أبيض .. إذن فهو ثون ودائى ..

(بن جوريون) كان يراه مندفعاً أكثر من اللازم ، لكنه في النهاية يقول إنه (ولد طيب) .. كنا كان يعرف إنه مندفع لا يحترم الرؤساء ولا يصغى لأحد .. دعك من قلموسه اللغوى الذى يتضمن ألغى مجموعة شتائم يمكن أن تتصورها .. لكننا - حيث وقفنا خارج (بيروت) - كنا نرى إنه لو كان علينا أن نحارب فمن الأفضل أن يكون (شارون) قائدنا ..

(شارون) لا يخفى كراهيته الشديدة للفلسطينيين .. إنها كراهية شبه دينية .. لم لا والمولدة التى جاءت به للحياة

هى جدة (بيجين) ذاته ؟ كذلك لا يخفى تطلعه فى جشع إلى الأردن .. حلم حياته أن يحشر للفلسطينيين هناك لتكون هذه فلسطين وتنتهى المشكلة ..

(شارون) قلق ..

إنه ينتظر اللحظة المناسبة لدى حلول الليل .

يفترش الرمال جوار الدبابة ويخط رسوماً على الرمال .. هذه الأكوام هناك هى معسكر (صاهرا) و (شاتيل) للفلسطينيين فى لبنان ..

فى هذه المرة لن نحارب ، سوف نحارب سوانا بالنيابة لكننا سنلعب دوراً أقرب إلى الحرب .. تخيل أن تحبس رجلاً فى حجرة ، ثم تفتح الباب وتدخل معه كلباً شرساً جائعاً ، ثم تطلق الباب ثانية ؟

هذا هو ما ينوى (شارون) القيام به الليلة .

الشمس تغرب .. شمس يوم الخميس التى تعلن قدوم يوم من الراحة والاسترخاء بالنسبة للعرب ..

نرى في الأفق قوات الكتائب قادمة . هذه القوات بينها
وسين الفلسطينيين ما صنع الحداد .. ومضى أصحابها المصكرين
أن مذبحة حقيقية ستحدث

أمسك (شارون) بجهاز اللاسلكى وقال كلمة السر :

« أخضر ! »

ثم أشار (شارون) القلق إلى المدفعية فاطنقت ..

لكيها لم تطلق قنابل متفجرة وإنما شعلات مضيئة أثار
السماء ..

لا بد أن سكان المخيم لم يفهموا ما حدث . فجأة وجدوا
أن الليل قد ولى وأن الشمس قد سطعت في الثامنة مساء .

شعار العملية هو (ليرحمه الله بلا عواطف !)

الآن يقتحم رجال الكتائب المصكر ..

قلت في حيرة بعد دقائق :

« لا نسمع طلقات .. »

ابتسم (شارون) في واحدة من المرات القليلة التي يتسم
فيها وقال :

« اتهم يذبحونهم ! إن الذبح لا يحدث صوتاً ! »

يمكن تخيل ما يحدث لأن صوت الصرخات بدأ يتعالى لنا حتى
ونحن في هذا الموضع البعيد .. صرخات نساء .. أطفال ..
رجال .. ثم بدأ صوت الانفجارات والطلقات بينما السماء
تتوهج بذلك النور المخيف .. لا يمكن أن يكون هناك ركن
واحد مظلم في المخيمين الآن ..

ضحكت ضحكة خافتة فنظر لى (شارون) وتساءل :

« لم تضحك ؟ »

قلت إن ابن عرس تسال إلى بيت الدجاج في دارنا ذات مرة .
في مستوطنة (حارنوف) . لم نعرف بهذا إلا حين سمعنا
صراخ الدجاج المذعور وارتطامه بجوانب بيته الخشبي ..
لقد تذكرت المنظر الآن ..

ترى ماذا يفعله ابن عرس الآن ؟

ضحك (شارون) طويلاً .. لقد انتعش وعاد إلى وجهه
شبابه .. هذا الرجل لا يستعيد حيويته إلا حينما يسمع الطلقات
والصراخ ويشم رائحة البارود والدماء .. ظل واقفا ساعة
أخرى يصغى ثم أعلن أنه سيعود ليظفر ببعض الراحة ..
أعرف أن هذه من أسعد ليالي حياته .

استغرقت العملية 36 ساعة ..

وفيما بعد عرفنا الأرقام المبهرة .. لقد هلك في 36 ساعة 3500 فلسطيني أي أن معدل القتل كان ألف فلسطيني في الساعة ، وهو ما لم نتصوره حتى هذه اللحظة ..

فيما بعد عرفنا أن رجال الكتائب لم يخيوا ظنتنا فيهم ، فقد اقتحموا كل بيت وذبحوا كل طفل واغتصبوا كل امرأة قبل قتلها أما الرضع فقد طوحوهم من القديمين من أعلى البيوت ، وقد تسلوا ببتز بعض الأطراف .. إلخ . المهم أن شوارع المخيمين تحولت إلى كومة عالية من الأجساد ..

وقد فر بعض الأطفال إلى مستشفى (غزة) في مخيم (شاتيلا) وأبلغوا الصحافة الأجنبية ..

جاء الصحفيون الأجانب صباح الجمعة فلم يستطيعوا الدخول إلا صباح السبت نحن منعاهم لأننا أغلقنا أبواب المصكرين فلم نسمح بالدخول أو الخروج .. دعوا ابن عرس مع اللجاج بأسيادة .. إتهما متفاهمان ..

لقد استمر مرح رجال الكتائب حتى ظهر السبت .

وحين دخل الصحفيون الأجانب المكان أصابهم الذهول والهلوع .. كتبت الراححة لا تطلق . ومن الصعب أن تمشي في موضع دون أن تطأ جثة أو تقع عينك على مشهد يزور كوابيسك إلى الأبد ..

غضب العالم علينا !

انقلب العالم علينا !

منذ التصريحات في الصحف ونشرات الأخبار . غضبة عارمة .. ثم بعد هذا يأتون إلينا ويخطبون ودنا . إتها حقائق القوة على الأرض . الضعيف لا ينال إلا بعض التعاطف ثم ينساه الجميع ، بينما القوي على حق دائما .

لقد اعتدنا هذا .. غضب واتهامات ، ثم لا يحدث شيء وسرعان ما ينسى الجميع الأمر .. ألم قل لك إتنا فوق القانون ؟ من قريب أن هؤلاء الناس ينسون إتنا لم نتغير .. هذا هو منهجنا الثابت طيلة الوقت .. نهاجم (كفر قاسم) فينسون (دير ياسين) .. نهاجم (قنا) فينسون (صابرا وشاتيلا) .. هكذا . لو كان (شارون) جنرالاً في (زائر) أو (السلهادور) لقضى حياته خلف القضبان أو أعدم كمجرم حرب ..

لكنك تتحدث عن (إسرائيل) ..

في إسرائيل كان هناك بعض دعاة السلام الذين شاركوا . لا أعرف نفع هؤلاء ولا جدواهم . لو كانوا لا يحبون ما نقوم به فلماذا لا يرحلون ؟

المهم أن هذه الضوضاء أدت إلى محاكمة (شارون) .
وقد اضطر للاستقالة من الجيش مع تغريمه عشرة قروش
بحكم صارم من المحكمة .. بالإضافة إلى التوبيخ .. وقد
ضايقه هذا كثيراً . تخيل توبيخ شخص مثل (شارون) !
تخيل توبيخ بلدوزر مندفع لا يسمع ولا يعي !

ليلة السبت دخلت على (شارون) في غرفته فوجنته راقداً
على الفراش بتيابه الداخلية - قطعة واحدة منها في الواقع -
وهو يحتضن زجاجة (ويسكي) .. هذا فعل مشين خاصة في
يوم (السبات Sabbath) المقدس عندنا .. لكن من قال إن
(شارون) يهودي متدين ؟ بنفس المنظر - الثياب الداخلية
والزجاجة والفراش - قابل كبار صحفيي العالم يوم نفذ عملية
(الغزالة) في حرب 1973 .. تلك التي اصطلح المصريون
على تسميتها (ثغرة الدهر سوار) . ليلتها حاولت جاهداً أن
يلبس ويبدو محترماً أمام الصحفيين ، لكنه سبنى ببذاءة
أمامهم وأصر على أن يظل كما هو ..

كان ثملاً بالنصر وثملاً بالخمر .. لذا كان يتكلم بعنوين
مغمضتين وهو يلهث ..

هرش في صدره المكتنز ، وقال لي :
- « هل تعرف قصة الحاخام والخنزير ؟ »
قلت له :
- « لا .. »
- « لأنك حمار يا (إيثان) .. »

ثم راح ينظر للسقف وأخذ جرعة كبيرة من الزجاجة .
وشهق وقال :

- « به ذلك لليهودي الذي كان يعنى لأن بيته ضيق كريبه ..
ذهب للحاخام يشكو إليه ، فقال له الحاخام : ساحل مشكلتك
غداً .. في اليوم التالي جاءه الحاخام بخنزير ضخم كريبه الرائحة
وأمره بأن يضعه معه في البيت . دهش الرجل لكنه كان
مضطراً لأن يطيع . هكذا عاد لداره بالخنزير . مرت أيام
والرحل في جحيم .. البيت صار أضيق فذارة الخنزير في كل
مكان .. رائحة لا تطفى .. هكذا بعد شهر هرع إلى الحاخام
يتوسل إليه أن يأخذ الخنزير .. جاء الحاخام وأخذ الخنزير
في اليوم التالي وقال لليهودي : الآن ستجد كم كانت حياتك
رائعة ! بيتك صار أوسع ورائحته أنظف وحياتك أسعد .. »

فكرت قليلاً ، ثم قلت وأنا أقف جوار الفراش :

- « قصة رائعة .. لكنى لم أفهم ما تريد قوله .. »

هرش (شارون) فخذ الشبيهة بفخذ الثور وقال :

- « ضع العرب فى موضع هذا اليهودى .. ولنكن نحن
الختير ! يطالبون بـ (اورشليم) خذ منهم سيناء والجولان ..
هكذا يصير هدفهم فى الحياة استرداد هذين .. يطالبون
بطردها عندها ابن مستوطنة هنا أو هناك .. سوف تتحصر
مشاكلهم فى هدم هذه المستوطنة .. يريدون مكافحتنا عندئذ
اغز لبنان وحاصر بيروت هكذا تصير مشكلتهم هى جلاؤنا
من لبنان .. ألم تسمع هذه القصة قط يا ابن الـ ؟ »

كررت من جديد أنسى لم أسمعها من قبل ..

قال وهو يضع قدمه الكبيرة فى وجهى :

- « يا لك من (حلوف) .. ألم تذهب للمدرسة قط ؟ هذه
القصة هى مفتاح السياسة الإسرائيلية كلها .. قبل أن يتكلم
خصمك عن الكلمة التى وجهتها له فى عينه ، وجه له ركلة
فى ساقه . وقبل أن يتكلم عن ركلة ساقه لصفحه ..
لا تتركهم يتكلمون عن حدود 1948 وتقسيم (برنادوت
Bernadotte) بل اجعلهم يتحدثون عن حدود 1967 ..
اجعلهم يناقشون حدود أمس .. »

ثم غلبته الخمر فراح فى نعاس عميق ..

بطنه العظيم يعلو ويهبط ..

نظرت له وقتت لنفسى : برغم كل شيء نحن محظوظون
أن هذا البلدوزر الأدمى لدينا .. لو كان لديهم هم لكأت
كارثة !

ما تنوى قصفه .. لا توجد أوهام ولا سوء فهم .. والقيادة تؤكد أن علينا أن نقوم بما خرجنا للقيام به .. سلفى كان يركب طائرة (فانتوم) عتيقة نوعاً حين اتجه لينسف الطائرة الليبية التى نعرف جميعاً أنها مسالمة مدنية . وسلفى فعل الشيء ذاته وهو ذاهب ليقصف مدرسة ابتدائية للأطفال يعرف تماماً أنها مدرسة ابتدائية للأطفال ..

انتقلت الرسالة عبر خطوط اللاسلكى ..

لقد حاول بعض الأهالى الفرار من القصف فلم يستطيعوا .. ثم صاح صائح منهم أن المكان الوحيد الامن هو ملجأ كتيبة (فيجى Fijji) .. هذه الكتيبة جزء من قوات حفظ السلام للأمم المتحدة فى قرية (قانا) اللبنانية ..

هكذا هرعت أعداد كبيرة من الأطفال والنساء والشيوخ إلى ملجأ الكتيبة باعتباره المكان الوحيد الذى يعرفون يقيناً أننا لن نقصفه ..

حسن .. لم يكونوا محقين إلى هذا الحد ..

لقد أمرنا (شمعون بيريز) بأن نقصف الملجأ ..

فهمت أسبابه .. أولاً : كل رئيس وزراء فى إسرائيل يحتاج إلى مجزرة ما تدعم نفوذه السياسى .. ثانياً : نحب من وقت

10 - قصاصات : (فيجى) و (كيبور) وأشياء أخرى ..

الثامن عشر من سبتمبر عام 1992 :

لبنان من جديد !

كانت منظمة التحرير الفلسطينية شوكة فى جانبنا .. ثم ظهر لنا حزب الله فى لبنان ..

لماذا لا يستسلم هؤلاء العرب ؟ لماذا لا يستسلمون ؟ هم يعرفون أنك تريد السلام .. فقط السلام الذى نحدده نحن .. السلام الذى لا نصير لهم فيه حقوق من أى نوع ..

إننا أقوياء جداً .. أقوياء إلى حد لا يصدق .. لكن للبندقية الالية لا تصلح للتصدي للدغ النحل .. تستطيع النحلة أن تلدغك وتدميك حتى لو كنت تطلق الرصاص فى كل اتجاه من أحدث سلاح فى العالم ..

هكذا قمت ورفقى بهذه المجموعة من الطلعات على الجنوب اللبنانى .. كنا نقصف كل شيء وأى شيء ..

اليوم قمنا بواحدة من هذه الطلعات ..

لقد تكرر هذا الموقف كثيراً على كل حال .. نحن نعرف

لأحر أن نشد أذن الأمم المتحدة لتعلمها أنه لا توجد لدينا خطوط حمراء ، وأنها لا تستطيع حماية من نريد قتله ..

انحدرت بالطائرة ثم وجهت صاروخي الأول إلى الملجأ ، وارتفعت بينما اندلعت السنة الذهب ..

إن أسلحتنا اليوم تختلف عما كنا نستعمله في السبعينات فوق بحر البقر . لا بد أن الدمار مروع داخل الملجأ ولا بد أن درجة الحرارة صهرت الأجساد بالداخل ..

وبينما أنا أرتفع كان زميلي في السرب ينحدر ليوجه ضربته القالية ..

استغرق الأمر دقائق لكنها كانت كافية ، وعرفنا فيما بعد أننا قتلنا 160 لاجئاً من الأطفال والنساء اجتمعوا بالملجأ .. وخرج تقرير الأمم المتحدة يؤكد أننا قصفنا الملجأ عمداً وبدم بارد ، كنا نعرف يقيناً أنه تابع للأمم المتحدة ..

حسن لقد صار هذا مملاً .. سوف يديننا العالم ويلطم الخدين ، ثم يقدم له أحدهم لفافة تبغ فيأخذها شاكرًا وينسى الموضوع . ونحن بدورنا نقدم الورقة المطبوعة من قبل التي استعملناها ألف مرة : حدث خطأ نعتذر عنه .. لو: رجال المقاومة الفلسطينية هم المسئولون لأنهم يحتمون

بالتجمعات السكانية ويطلقون علينا من هناك مما يعرض حياة المدنيين للخطر ... إلخ .. إلخ .. إلخ ..

لا أحد يصدق هذا .. نحن نعرف أنهم يعرفون أننا نكذب .. وهم يعرفون أننا نعرف أنهم يعرفون أننا نكذب ..

ثم ماذا ؟ ماذا يستطيعون عمله ؟

يونيو 1967 ... العرش ..

الصحراء من جديد ..

تباً للصحراء ! كم أمقت هذا الحر .. هذا هو ما شعر به أسلافي عندما خرجوا من مصر مع (موسى) ..

الأسرى المصريون يقفون صفاً .. لا أعرف كيف يتحمل هؤلاء القوم هذا الجو .. لا يستطيعون أن يرفعوا أيديهم ليحجبوا الشمس أو يبعثوا نيب الصحراء ، إنهم في هذا الموقف منذ ساعات .. لكنني لا أرى المشهد كما هو . أراهم مجموعة من الجنود الفراغة يقفون أمامنا نحن أتباع (موسى) .. لقد هزمناهم أخيراً ..

كانت مشكلتنا أن عددهم يتزايد .. في كل مكان نجد المزيد منهم . لقد كان اجتياحنا لسيناء سريعاً كالبرق .. لسرع من خطوط إمداداتنا ، وهو ما يذكرني بالنفّاع (روميل) عبر الشمال الإفريقي أيام الحرب العالمية الثانية ..

لقد دمرنا مطاراتهم وخطوط اتصالاتهم وسرعان ما صار ذلك الجيش عبارة عن مجموعات متفرقة من الأفراد الجائعين الذين يقتلهم الظمأ والإرهاق ..

كيف ننقلهم ؟ كيف نطعمهم ؟

من أين نأتي بالجنود الكافين لحراستهم ؟ لا يوجد عدد كاف لهذه المهمة . إن أماننا مهاماً أكثر أهمية ..

جاء (شارون) عند الظهر وهو يركب سيارة (جيب) . وكان من الواضح أن الحر أنهكه فعلاً ..

سألته عن حل لهذه المشكلة ، فقال بلا تردد :

« اقتلهم طبعاً . إن رصاصة واحدة ستزيح عنا الكثير من الاعباء . لدى أوامر عليا تسمح بذلك »

فكرت في الأمر عدة مرات .. حقاً لن تكون هذه المرة الأولى ، لكنني ارتجفت للتفكير في حجم المذبحة التي سنقوم بها .. هذه المرة يفوق العدد أية مرة قتلنا فيها الأسرى ..

كان يشعر بملل حقيقي وقد أراح فخذه على حاجز السيارة وأمر السائق بأن يتحرك .. فقط قال لي وهو يبتعد :

« عندما أرجع لا أريد أن أرى هؤلاء .. »

هكذا كان علينا أن نبدأ الروتين المعتاد ، كل أسير يحفر قبره أمامه . كانوا مرهقين لهذا لم يبد على أحدهم الذعر أو القلق .. كأنما مهمتهم هي حفر القبور لا أكثر ولا أقل .. وكان متاعبهم تنتهي فور الفراغ من هذا ..

أوقفتهم صفاً .. ناديت جنودي وأمرتهم بأن يتأهبوا لإطلاق النار .

استعد ..

اضرب ..

أطلقوا النار على هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هكذا تم هذا الإعدام الجماعي في صحراء سيناء وسرعان ما كنا نهيل الرمال على الجثث ..

وفي أكثر من مكان من ميناء تكرر المشهد نفسه ..

وأثارت دهشتي بساطة هذا الحل . فعلاً رصاصة واحدة
تنهى هذا الضجيج .. فلا حراسة ولا طعام ولا مأوى ..

على أننا نسينا شيئاً بسيطاً ..

(ليبرتي Liberty) !

أنا (رعان ليفي) توليت الهجوم على السفينة الأمريكية
(ليبرتي) ..

كانت واقعة هناك خارج المياه الإقليمية تراقب كل شيء
وتسجل كل شيء . وقد أحسنا صنفاً حين أغرقناها لأن عدداً
من رجالها رأوا مشهد إعدامنا لستين من الأسرى المصريين ..
عرفنا هذا فيما بعد . لم نكن نريد شهوداً من أى نوع ، وكلنا
من الغرب أن تتواجد سفينة تجسس أمريكية تراقب كل شيء ..

المصريون أيضاً كانوا مرتبكين بصدد هذه السفينة .. حسبوها
تساعدنا في عملياتنا . الحقيقة أنها لم تفعل إلا المراقبة .
وقد تعلمت الكثير من أساليبنا . مثلاً الطريقة التي كنا نعترض
بها الإشراف اللاسلكية الموجهة من مصر إلى الأردن .. نغير
محتواها ، ثم نعيد إرسالها . هذا الأسلوب لأهل الأمريكان
لأنهم لم يعرفوه من قبل ..

روايات مصرية للجيب .. سفاري ٩٥

وهكذا كان علينا أن نلقن هؤلاء القوم درساً قاسياً . لا أحد
يتجسس علينا حتى لو كان الولايات المتحدة نفسها ..

وصدرت لنا الأوامر بإغراق السفينة . خرجت مع ثلاثة
من رفاقي نحوها ..

رأينا نحوم حولها فأصدرت إشارة بالراديو تقول إنهم
أمريكيون ، ورفعوا العلم الأمريكي واضحا لكن حكم الإعدام كان
قد صدر .. لهذا أخفضت بطرنتي ، ثم أطلقت نحوها طوربيداً ..

لا بد أنهم كانوا يصرخون هلعاً وهم يحترقون .. لا بد أن
القبطان كان يردد « نحن أمريكيان يا حمقى ، لسنا مصريين ! »

فكنا نضحك في سرنا ونقول : « نعرف ذلك ! »

وتواصلت الهجمات حتى غرقت السفينة تماماً فلم يبق
منها إلا رجال يسبحون في عوامات فوق سطح الماء ..
هكذا عدنا لقاعدتنا راضين ..

وجاءت طائرة هليكوبتر إسرائيلية تحوم حول الحطام
وعلى سبيل الاستفزاز سألهم قائدها بمكبر الصوت :

« هل تريدون شيئاً ؟ »

هنا تعالى السباب البذيء .. وهتف قبطان (ليبرتى) الذى يتمسك بقطعة خشب فى البحر :

« أيها القتلة !! »

بعد قليل مرت بالمكان سفينة سوفيتية فسألت الغرقى عما إذا كان بوسعها أن تنتشلهم ..

لكن القبطان لم يرد - من ناحية الكبرياء - أن ينجو بسفينة سوفيتية ، لذا قال إنهم شاكرون .. لا يريدون عوناً من أحد ' إلا أن السفينة السوفيتية قالت :

- « على كل حال نحن لن نرحل .. سنظل هنا بحولكم إلى أن يتم إنقاذكم ! »

فيما بعد حاول الحمقى من طاقم (ليبرتى) أن يستفزوا الحكومة الأمريكية علينا .. قالوا إنها عملية قتل متعددة .. قالوا إن هوية (ليبرتى) كانت واضحة ولا مجال للخطأ .. لكن (جونسون) الرئيس الأمريكى وقتها قبل اعتذار إسرائيل فى سماعة وأطرى شجاعته فى الاعتراف بخطئها . قال إن إسرائيل حسبتها سفينة مصرية ومن هنا كان الخطأ ..

وسراً تلقى الطاقم أمراً بالابتعاد عن الموضوع أكثر من اللازم وإلا

فيما بعد سكتب عشرات الكتب عن حادثة (ليبرتى) أشهرها (من يجرؤ على الكلام ؟) لكن القصة تتكرر .. إسرائيل فوق المساعدة أو اللوم ..

هناك قنون لكل الجوييم (الأغول) وقنون خاص لإسرائيل .. يجب أن يتعلم العالم هذا

وكان رئيس الوزراء (ليفى أشكول) يجلس إلى مكتبه متوتراً ..

أمامه وقف الجنرالات فى الجيش الإسرائيلى .. وأولهم (موشى ديان) صاحب النصر الساحق ..

قال (ديان) وهو ينظر له بعينه الوحيدة لزرقاء البردة :

- « اسمع يا (ليفى) .. إن اللحظة تاريخية وأنت لا تبدو للرجل المؤهل لها .. سوف نجتاح الجولان والضفة الغربية الآن .. »

قال لنا وهو يبتلع ريقه :

- « لقد كانت معركتنا مع مصر وها نحن أولاء قد استولينا على سيناء ودمرنا جيشها .. ما دخل الأربن فى الموضوع ؟ »

قال الجنرالات بصوت واحد :

« إذا لم توافق سنفعل ذلك على كل حال .. سنبدأ الاجتياح حالا .. »

شعر (أشكول) بالخطر . الأمر بقلت من يده ليتحول إلى ما يشبه انقلابا عسكريا .. كان يؤمن دوما بأن العسكريين في إسرائيل يملكون قوة مخيفة وأنهم استولوا على الدولة .. وللمرة الأولى شعر بأنه ضعيف فعلا ..

لقد ربت إسرائيل هذا الوحش ليحميها والنتيجة أنه فترسها .. كل شيء في هذا البلد .. كل حجر .. كل زهرة لها رائحة البارود والحرب ..

وهكذا لم يجد ما يقول ..

لبئس (بيان) وانفج خرجا من المكتب ومن خلفه الجنرالات الآخرون

أكتوبر 1973 :

الطائرات تنطلق فوق الرعوس ..

لكنها هذه المرة لا تتجه من الشرق إلى الغرب .. إنها متجهة

من الغرب إلى الشرق ! لم نر هذا المشهد من قبل حتى حسبناه غير ممكن ! الانفجارات تدوى فترتج لها الأرض ..

قال لي الضابط الذي جاء معي :

« يقصفون (أم مرجم) ومركز الاتصالات الرئيسي لنا في (رملة) ! »

المصريون والسوريون يهاجمون !

يا للكارثة ! لكننا سوف نلقهم درسا قاسيا .. يهاجموننا في (يوم كيور Kchor) أقدس أعيادنا ؟ هؤلاء القوم لا يحترمون شيئا .. وإن كان هذا لا يخلو من ذكاء لأن الدولة كلها معطلة في هذا اليوم ..

لنا المهندس (متير عزرا) الذي أحضره كي يصلح أنابيب النابالم بسرعة .. هناك مشكلة على ضفة القناة لأن المصريين ينزلون قواربهم وينقضون .. حاول جنودنا فتح أنابيب النابالم لتشتعل القناة ، لكن قطرة لم تنزل منها . ما معنى هذا ؟ هذا الجزء شديد الأهمية في خطة حماية القناة . تحويلها إلى بحر من نار يلتهم هؤلاء ..

استدعوني على وجه العجلة فجريت إلى الخزان الرئيسي ..

جثوت على ركبتي فوق الرمال ورحلت أفتش عن موطن
الخل ..

يا للمصيبة ! الخراطيم مقطوعة كلها .. وقد تم هذا بصلاح
حاد ..

الأدهى أن الأجزاء المقطوعة تم سدها بمادة تشبه
الأسمنت .. لن يكون إصلاح هذا سهلاً .. متى فعل هؤلاء
الشياطين هذا ؟ لا بد أنهم تسللوا إلى هنا منذ أيام وتأكدوا
من هذه النقطة ..

رفعت رأسي لأخبر الضابط بما وجدته فلم أجده .. كانت
التبذية المصوبة إلى رأسي في يد جندي مصري !

كنت على أن أكون من لوائ الأسرى ..

أكتوبر 1973 :

أصدرت لنا (جولدا مائير) الأمر الذي توقعناه والذي كنا
نخشاه ..

أمرت بتركيب الرعوس النووية على الصواريخ الموجهة
إلى مصر ..

مضى هذا أن كل شيء قد ضاع .. إنها النهاية كما تراها
هي .. كنا نعرف أن السلاح النووي هو الخطوة الأخيرة قبل
أن تفنى إسرائيل ، ولهذا أطلق (بن جوريون) على المشروع
النووي كله اسم (ميكرع هاكل) . أي (قبل ضياع كل
شيء) ..

ولكن لو أطلقنا الصواريخ النووية هل ستكون بمان من
الإشعاعات ؟

لا حرب من نون مصر .. لا سلام من نون سوريا .. هكذا
قال كبار مفكرينا ..

أكتوبر 1973 :

أسقط المصريون طائرتي وأسروني ..

أسلمني لهم مجموعة من الفلاحين رأوا مظلتى تهبط في
حقل قريب .. إنهم يستصلون الفئوس ببراعة كما هو واضح ..

بعد الاستجوابات المعهودة لتي لم أعط فيها أية معلومات
سوى رتبتي وفصيلتي ، طلبوا مني أن أقابل أحد القادة
المهمين لديهم ..

11 - قصصات : وما زلنا نتحرك ..

الرابع عشر من أكتوبر عام 1953 :

هل تعرف (قبية) ؟ إنها قرية فلسطينية ما تقع شرق
أورشليم .. إحم .. لنقل إنها كانت كذلك .. لا ذنب لها إلا كما
قلنا إنها تواجدت في المكان والزمان الخطأ .. كنا بحاجة
إلى عبرة أخرى ..

لهذا هاجمناها .. اقتحمناها بعدد يبلغ نحو خمسمائة
جندي ..

ورحنا نطلق النار على هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

أطلقنا الكثير جداً من الرصاص على أي شخص يتحرك .
ثم أغلقنا البيوت على سكانها ونسفناها .. يبدو أن العملية
استغرقت ثلاثين ساعة على الأقل ..

دخلت إلى غرفة صغيرة ، ثم جاعني هذا القائد ليجلس
أمامي . شعرت بأنه يريد إجابة عن سؤال حيره كثيراً ..

قال لي عن طريق المترجم :

- « لن أدخل في تفاصيل .. لقد كنت موجوداً على الأرض في
أثناء الغارة التي قمتم بها على مطار المنصورة ، وبلا أية
مبالغة عدت عشرة أخطاء قتل قلم بها تشكيلكم .. كنتم لهرع
من هذا في حرب 1967 .. ماذا حدث لكم ؟ هل تغيرتم ؟ »

في كهرياء قلت :

- « سيدي .. نحن لم نتغير ومازلنا بذات الكفاءة . أنتم
الذين تغيرتم ! »

فيما بعد عرفت أن هذا القائد الكبير هو قائد سلاح الطيران
المصري ذاته . إنه لواء يدعى (حسنى مبارك)^(*) ..

(*) والفة حقيقية كأي شيء ذكر في هذا الكتاب ..

الحصيلة هي مصرع 67 فلسطينياً .. هناك منعت الجرحى ..
لا تكلمنى عن عدد الأطفال والنساء من فضلك حتى لا تكون
مملأ .. نحن لا ننتقى .. لو كان كل أهل القرية رجالاً لفعلنا
ذلك .. ولو كانوا كلهم أطفالاً لفعلنا هذا .. نحن لا نستهدف
الأطفال لكننا .. كذلك .. لا نعتبرهم محصنين ..

الجمعة 13 يونيه عام 1980 :

سمع د (يحيى المشد) طرقات على الباب فى فندقه
بباريس فاتجه ليفتح الباب .

ما لا يعرفه الفرنسيون .. ما لا يعرفه الكثيرون أن هذا
الرجل النحيل أصلع الرأس الذى تذكر ملامحه بملامح أب
وديع أو موظف . هذا الرجل هو السلاح السرى رقم واحد
للعرب . إنه العقل الذى يعرف سر القنبلة الذرية ..
ويستطيع عمل واحدة ، بل إنه فى فرنسا لهذا الغرض ..

وما لا يعرفه كثيرون هو أن المفاعل العراقى الذى يتم
تشبيده بخبرات هذا الرجل سيكون جاهزاً فى وقت قريب ..
بضعة أعوام لا تعنى شيئاً فى حياة الأمم ..

أقول إن د (يحيى) سمع قرعاً على الباب فتجه ليفتحه ..
لن أفهم هؤلاء العرب أبداً ..
أخطر رجل فى العالم العربى هنا وحيداً فى غرفته ..
لا توجد حراسة . لا يوجد جهاز مخابرات كامل يراقبه ..
لو كنا فى مكان العرب لوجدت الدبابات تحيط بالفندق .

إنه يتجه لفتح الباب كما قلت ..

فلنتركه يفتح الباب من فضلكم ولا تضايقوه ..

يونيو 1981 :

(التويته) 20 كيلومتراً جنوب شرق بغداد ..

اسمى (إيلاي رامون) .. أنا بطل قومى إسرائيلى لكنى
اليوم أسطورة إغريقية ..

بعد ما انتهيت من قصف المفاعل العراقى درت حوله
مرتين لأؤكد من أن الضربة كانت قاتلة .. وكان زملاى
يناورون للقيام بالمزيد من الضربات ..

سحابة سوداء كثيفة تتعالى فى السماء ..

أعترف أن (بيجين) يتخذ القرارات الصائبة دوماً ..
الخطر أن يمتلك العرب القدرة النووية ، وبالتالي يتلصق
تفوقنا العسكري المخيف .. ولو تم إنشاء هذا المفاعل
وصنعوا القنبلة الذرية فلسوف تمتلك كل دولة عربية
صواريخها النووية الموجهة إلينا .. لهذا أطلق على العملية
اسم (السلام في الجليل) ..

بقي علينا الآن أن نرجع .. ويا لها من رحلة مريضة تبلغ
أربعة آلاف كيلومتر ! لأننا نتبع طريقاً صعباً ملتوياً ..

فيما بعد سوف أشارك في اجتياح لبنان ..

وفيما بعد سوف ألقى حتفى عام 2003 .. نعم .. سأكون
أول رائد فضاء إسرائيلي ، وسوف ألقى حتفى عندما يتفجر
المكوك الأمريكى (كولومبيا) .. وسوف تهوى لثلاثى فوق
بلدة أمريكية اسمها (فلسطين) !

هل لهذا معنى ما ؟ لو أردت أن تجد معنى فهذا شأنك ..
لما لنا فلا أعرف إلا أننا انتهينا من خطر المفاعل العراقى ، وهكنا
العقل الذى كان يدبر له .. وفيما بعد سأصير لنا أسطورة فى
تاريخ إسرائيل باعتبارى أول (شهيد) فضاء إسرائيلي ..

فلتعد إذن ..

كنت مصرّة على الوقوف ..

أتقدم .. الديناصور المعدنى المتوحش يهدر على الأرض
والأرض ترتفع ..

لا بد أنها ستتراجع ..

تقف ببذلتها الحمراء فى تحد .. الأرض ترتفع من تحتها
ويبدوا أنها ستفقد توازنها فى أية لحظة ..

أنا لن أراجع يا صغيرة .. أمريكية أو غير أمريكية ..
يجب أن تعرفى أن إرلتى كهذا للبلاوذر .. بل هى أقوى منه ..
هى التى تحركه ..

اسمك (راشيل كورى) .. أمريكية .. واضح من اسمك
أنك يهودية كذلك لكنك من هؤلاء اليهود الحمقى الذين
لا يعرفون بلرض الميعاد .. قيل لنا إنك تحبين الفلسطينيين ..
تأكلين معهم وتلاعبين أطفالهم .. وتتأمين فى بيوتهم الضيقة
الرطبة .. قيل لنا إنهم يحبونك وإنهم سيشتيعونك فى جنازة
رمزية ..

حسنا أنت صغيرة السن .. من الخسارة أن تموتى ..
ألا تفهمين هذا يا حمقاء ؟ ربما فى ظروف أخرى كنت

ستجلسين جوارى فى هذا البلدوزر وتريحين رأسك الأشقر
على كتفى ..

لكن الحرب هى الحرب .. يجب أن أهدم هذه المجموعة
من المنازل ..

أنت تتعثرين .. تقعين على الأرض ..

الجرافة تضرب رأسك .. أنا آسف ..

برغم كل شيء أعترف أن فى قلبك شيئاً من النبوة
السادية هو ما نشعر به عند هدم شيء جميل ..

أصدقائك من الناشطين يحاولون أن يتقذك .. لكن هذا
سخف .. حتى من هنا أرى أن رأسك لم يعد رأساً ..

لقد انتهى أمرك يا (راشيل) هنا .. فى رفح ..

لو كنت تعتقد بأن الدنيا ستقوم ولن تقعد بسبب مصرعك
هنا ، فأنت مخطئة .. سوف يتحدث أبواك فى مرارة فى
وسائل الإعلام ، وسوف يتكلم الفلسطينيون عنك دامين ..

ثم ينتهى الأمر ..

الأب يخفى ابنه - الذى عرفنا فيما بعد أنه (محمد الدرة) -
خلف ظهره ويصيح بنا .. يطالبنا بأن نتوقف ..

إن العدسات تصور المشهد .. يتخيل أننا لن نطلق
الرصاص عليه لمجرد أنه يريد ذلك ..

يتخيل أننا لن نجرؤ ما دام مصور القنصة الخامسة
الفرنسية يصوب عدسته علينا ..

يتخيل أننا لا نطلق الرصاص على الأطفال ..

يتخيل ويتخيل ..

حسن .. الحقيقة أن توقعاته لم تكن دقيقة جداً ..

الاثنين : الثامن من أكتوبر 1990 :

سوف يذكر الفلسطينيون ما نقوم به اليوم باسم (مذبحة
الحرم القدس) - وسوف يضيفونه إلى قوائمهم التى تضم
كل ما قمنا به . والتى يتوقعون أن نعاقب عليها يوماً ما .

القصة تتكرر دائماً .. إذا أردت استغزاز العرب فتحرش
بهيكل (سليمان) .. أقصد تحرش بالمسجد الأقصى الخاص
بهم .. هنا ينقضون عليك وقد غلت دماؤهم .. عندئذ يمكنك
أن تطلق الرصاص كما تريد .. هذا حقك ..

لقد حاول بعض رجلائنا المتكبرين وضع حجر الأساس للهيكل
الثالث في ساحة مسجد هولاء .. هكذا هب العرب ثائرين
وكادوا يفتكون بأمناء جبل الهيكل ..

هكذا كان المبرر وأصدرت أوامري لرجال الحيش بأن
يطلقوا الرصاص على المتظاهرين بلا تمييز .. من الجميل
أن ترى كيف نطلق الطلقات نحو زحام .. هذا يشبه صيد
السماك من برميل .. لابد من أن تصيب الطلقة كائنًا حيًا ..

أطلقوا النار على هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

في هذا اليوم هلك 21 فلسطينيًا وإثنى لَمَنْدَهش لحظ
هولاء القوم .. لقد قدرت أن يموت مائتان على الأقل ..

هناك مائتا جريح .. كما اعتقلنا الكثيرين ..

صحيح أننا استمتعنا بوقتنا لكن الحجر لم يوضع برغم

هذا ..

عام 1967 عندما دخلنا أورشليم طلب أحد الحاخامات من
(عوزي) القائد الإسرائيلي أن ينسف قبة الصخرة .. هذا
هو الوقت المناسب ليدخل التاريخ وكى تنتهى مطالبات
المسلمين بهذا المكان ..

قال (عوزي) الذى كان علمتيًا يعتبر ما يقوله الحاخامات
هراء :

- « بعد إنك .. أنا أعتبر نفسى دخلت التاريخ فعلاً بدخول
لورشليم .. أما نسف هذه لقبة فأمر سيجلب علينا قويل .. »

هتف الحاخام غير مصدق :

- « أى ويل ؟ من يجرؤ على معارضتنا الآن ؟ »

- « هناك دول إسلامية صديقة لنا .. هناك تركيا وإيران
وباكستان (فى ذلك الوقت) .. وسوف تنقلب علينا لو فعلنا
شيئًا كهذا .. »

هكذا انصرف الحاخام وهو يسب ويلعن ..

اليوم أفكر .. وأعتقد أنه كان على حق ..

لقد كان (عوزي) أحمق ..

* * *

12- قصاصات : وما زلنا نتحرك ..

العشرون من مايو 1990 :

شالوم ..

اسمى هو (عامى بوهر) ..

ربما لا تذكر اسمى . إذن فاعلم أننى فعلت ما فعلته قبل
(بلروخ جولدمشتاين) الذى قُتل خمسين (منهم) فى (هبرون) ..
ربما كنت أنا المثلهم الحقيقي له لكن التاريخ لا يذكرنى ..
فقط هؤلاء الذين رأوا ذلك اليوم المجيد لن ينسوتنى أبداً ..

(صيون قارة) .. هل تعرفها ؟

إنها قريبة جداً من (تل أبيب) .. وعليها كن يتردد العمال
العرب الذين يعتون الفقر فى بيوتهم ، من ثم كانوا يضطرون
إلى العمل عندنا مقابل شيكات لا تسد رمقاً .. لا أفهم
كيف يعيشون بهذه الملايم لكنهم يعيشون وتنمو أجسادهم
ويتناسلون ..

لم أخبر أحداً بما أتويه .. فقط كنت أقف قرب إحدى نقاط
المراقبة ، حين خطر لى أن هذه هى النهاية .. لم أعد أطيع

روايات مصرية للجيب .. سافارى ١١٣

رؤية العرب بعد اليوم .. سافعل أى شىء ولو كان فى هذا
نهايتى ..

كان عامل عربى يحمل قصته من القرميد ، فاتجهت إليه
وأشرت إلى الجدار القريب ..

بالعربية لتى أجيدها .. كلنا نتكلمها فى الواقع .. قلت له :

- « اتجه إلى هناك .. »

هتف فى دهشة :

- « لم أفعل شيئاً »

- « هذا إجراء روتينى .. أريد أوراقك .. »

هكذا اتجه إلى هناك وهو يضرب كفاً بكف وما إلى ذلك
من إيماءات الدهشة لدى العرب .

اتجهت إلى آخر وهو عجوز يضع الفطيرة الفلسطينية
المملوكة ، وطلبت منه أن يقف مع الآخر .. لحتج قليلاً ثم صدع
بالأمر .. هكذا جمعت سبعة من هؤلاء كانوا يريدون دخول
للخط الأخضر وأوقفهم جوار الجدار .. كانوا يعتقدون أنها
مجرد سماجة عابرة منى ، وقد لوحوا بأوراقهم يريدون أن
يثبتوا أنها قانونية ..

بلا تردد وقفت أمامهم .. نزعنا بنادقنا الآلية من على
كتفي

ضغطت الزناد ..

ورجت أطلق النار على هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

هذه الأجساد ..

لا بد أنهم لم يعرفوا أنهم ماتوا ..

إسرائيل تتشكل ..

نحن نفقد أقوى ..

مذبحة ناصر الدين .. في 13 أبريل عام 1948 ..

استقبلنا الأهالي حاسبين أننا عرب مثلهم .. هكذا أخرجنا
الخناجر وقمنا بنبح للجميع ..

مذبحة السوايمة .. في 29 أكتوبر عام 1948 ..

بقيادة (موسى ديان) هاجمنا تلك القرية قرب (هرون) ..
(الخليل) كما يسميها العرب . قتلنا 96 عربياً كما ابتكر
(ديان) تلك التفتية الجميلة لقتل الأطفال : أمسك بالطفل
من قدميه ثم لضرب رأسه في الجدار ..

مذبحة الد في 12 يوليو عام 1948 ..

ذبحنا 486 منهم احتجوا بمسجد القرية . مشكلة هؤلاء
القوم أنهم يعتقدون أن المسجد يحميهم من اقتحامنا ..

مذبحة بيت دارس في 21 مايو عام 1948 ..

هنا كانت إبادة كاملة بالدبابات لتلك القرية قرب (غزة) ..

الأساطير تنتشر عنا بين العرب ..

نحن نزداد قوة ..

الفلسطينيون يفرون من بلادهم ..

مذبحة صقصف في الجليل :

هنا تقنية جديدة فريدة . ربط الرجال من أقدامهم بالحبال . ثم تدليتهم في البئر .. نطلق الرصاص على كل امرأة مذعورة تحاول الاقتراب من الحبل الذي يعلق رجلها .. بعد عشر دقائق كان سبعون منهم قد ماتوا ..

السادس من يوليو 1938 :

فحرقنا سيارتين مفخختين في سوق حيفا .. مما أدى إلى قتل 21 عربياً .. وعدد الجرح كان ضعف هذا ..

بعد هذا بأسبوع ألقى أحدنا قنبلة على المصلين الخارجين من أحد مساجد (القدس ..) اورشليم بعد صلاة الجمعة ..

هؤلاء الفلسطينيون الأشرا :

يفجر أحدهم نفسه في سوق مزدحم في اورشليم ليقتل عشرات الإسرائيليين ..

مازلت لا أفهم هؤلاء القوم .. كيف يمكن للمرء أن يبلغ هذه الدرجة من القسوة !!!

مذبحة (تل جنان) في 31 ديسمبر عام 1947 :

قبل هذه العملية كان العرب يطلقون عليها اسم (بلدة الشيخ) .. طبعاً الاسم الجديد أكثر جمالاً .. احتجنا كي يتركها العرب ونغير اسمها إلى نبح 600 من أهلها !

مذبحة قرية عيلبون ..

مذبحة كفر قاسم ..

مذبحة البعنة ودير الأسد ..

مذبحة خان يونس ..

مذبحة

.....

13 - قصاصات : وما زلنا نتحرك ..

لا تصالح !

ولو منحوك الذهب ..

أترى حين أفقاً عينيك ثم أثبت جوهرتين مكانهما ..

هل ترى ؟

هي أشياء لا تشتري ..

أمل دنقل

يجب أن أصف موقفى بصراحة ..

كنت أعرف من أنا .. أنا (علاء عبد العظيم) الطبيب
المصرى لكنى فى الوقت ذاته كنت ألتقى هذا السيل الرهيب
من الذكريات .. وكنت أعيش فيه طيلة الوقت . بالفعل بدأ
جزء منى يفكر ويشعر كيهودى .. وفكرت أن هذا الصراع
المخيف فى عقلى نجم عن الالتحام بين كيانى العربى وبين ذلك
الكيان الصهيونى الذى تسلل إلى ..

روايت مصرية للجهنم .. سفارى

٩٩٩

كان سيل هائل من الروى يتدفق إلى عقلى .. أرى الرومان
وأرى النازيين فى شوارع (وارسو) وأسمع صرخات
الأطفال فى (بير ياسين) .. والأشنع أن جزءاً منى كان
يتعذب لهم وجزءاً آخر كان منتشياً مما يحدث !

هكذا رحلت أبحث عن مخرج ..

من أن لآخر كنت أفق لأدرك أننى راقد على مقعد طبيب
الأسنان .. مقعد القرايين الوثنية هذا .. وأن مكبر الصوت
بجوارى ويبدو أننى كنت أتكلم بالعربية شارحاً ما أراه
وما أعيشه ..

كانها جلسة تحضير أرواح وأنا الوسيط .. لكنها فى هذه
المرة تتم بالتكنولوجيا الحديثة .. تحولت إلى (جولدمشتاين)
و (شارون) و (عمواس ملير) و

وعرف أن على أن أفعل شيئاً ..

يجب أن أحشد إرادتى لأرسل لهذا الوغد رسالة كاملة
لا تشتبه عليه ..

أعرف أنه يعاني ما أعانيه .. الآن يزحم رأسه بتراث
عربي من الألم والعذاب .. وصراع حميم في داخله بين
الرضا والاشمئزاز .. بين الغضب والسرور ..
هكذا رحت أركز إرغفتي .. أركز .. أركز ..

سأفكر في تراث الكراهية .. سأفكر في الاشمئزاز ..
سأفكر فيما أحمله له من مقت ..

هذا التراث موجود بداخلي .. به قادر على أن ينتقل إليه ..

ومن بين شفتي رحت مقاطع من قصيدة (أمل دنقل)
الشهيرة تتردد :

« لا تصالح على الدم حتى يدمر »

لا تصالح ولو قيل رأس براس »

أكل الرموس سواء ؟

أقلب الغريب كقلب أخيك ؟

أعيناه عينا أخيك ؟

وهل تتساوى يد سيفها كان لك ..

بيد سيفها أنكلك ؟!!!!

هذا المقت يمكن أن يشتعل .. يمكن أن يحرق .. كم كان
عمرى حين سمعت عن منبحة (قتا) ؟ كم كان عمرى حين
سمعت عن (صبرا وشاتيلا) .. كيف بكيت من العجز .. كيف
تمنيت لو تحول غضبي إلى نار تتطلى كنيزك إلى أجواز
الفضاء ثم تهوى فوقهم ..

منذ ولدت ولدت في حيتى ككايوس .. متى تنتهون ؟ متى ؟
وأردد أبيات القصيدة :

« لا تصالح .. »

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام ..

كيف تحتنشق رنتاك النسيم المدنس ؟

كيف تنظر في عيني امرأة أنت تعرف أنك لن تستطيع حمايتها ؟

كيف تصبح فارسها في القرام ؟

كيف ترجو قدماً لوليد ينار ..

وهو يكبر بين يديك بقلب منكس ؟

لا تصالح ..

ولا تقسم مع من قتلوك الطعام .. »

سوف تصله الرسالة كاملة .. سوف تصله ..

الرقى يثبت على جبيني .. بدأى تتصلصن على مسندى المقعد ..
بطنى تنقوس لأعلى وكل عضلة تنقبض بإيقاعها الخاص ..

« كل شيء تعطى فى نزوة فاجرة ..

والذى اغتالنى ليس ربا .. ليقتلنى بمشيئته ..

ليس أنبل منى ليقتلنى بحكيمته ..

ليس أمهر منى ليقتلنى باستدارته الماكرة ..

لا تصالح ..

فما المصالحة إلا معاهدة بين تدين

(فى شرف القلب لا تنتقص)

والذى اغتالنى محض لص ..

سرق الأرض من بين عيني

والصمت يطلق ضحكته الساخرة .. »

الهولندى يهتف ، وهو يراقب مؤشراتته :

« ماذا يحدث هنا ؟ هناك شيء غريب ! »

رائحة شياطين لا شك فيها ..

نعة شيء يحترق .. هل أنا أم هو ؟

لايهم .. لا يهم .. إبنى الآن الغضب الساطع الذى تكلمت
عنه (فيروز) ..

من كل طريق .. أت ..

بجياذ الرهبة .. أت ..

وكوجه الله الفامر .. أت .. أت .. أت ..

لن يقفل باب مدينتنا فانا ذاهبة لاسلى ..

وستفعل يا نهر الأردن وجهى بمياه قدسية ..

وستمحويا نهر الأردن آثار الغضب الهمجية ..

(بارتلييه) يهزنى فى هستيريا .. وقد بدا على وجهه
هلع حقيقى لا شك فيه :

« ماذا تفعل يا (علاء) ! توقف ! »

فجأة صوت صراخ مريع يتعالى من الحجرة الأخرى
فتهرع الممرضة والسكرتيرة .. ثم تعودان صارختين :

« كف عن هذا ! أنت تقتله ! »

(بارتلييه) يضرب وجهي بكفه :

« توقف يا (علاء) .. أرجوك ! »

« لا تصالح »

فليس سوى أن تريد ..

أنت فارس هذا الزمان الوحيد ..

وسواء المسوخ .. »

ثم الهولندي ينتزع الأقطاب وهو يصرخ :

« انزعوا القابس .. سأجهض التجربة ! »

والمكرتيرة تصرخ :

« إن الجهاز هناك يشتعل ! »

قال في غضب مجنون :

« أعرف ! قلت لك أن تخرسى وتنزعى القوابس .. »

عشرات الأسلاك تتحرر وتلقى على الأرض ..

أنا ألهمت .. كل عضلاتي تتقلص ..

في النهاية أخرج الهولندي أمبولاً صغيراً وملاً به
المحقن ، ثم ألغظه في ذراعي ..

هنا فقط توقفت للحرب التي تدور في جوانب عقلي ..

وتحول المشهد الدامي إلى ظلام عميق ...

« لا تصالح ! »

ولو منحوك الذهب ..

أترى حين أحقا عينيك ثم أثبت جوهرتين مكانهما ..

هل ترى ؟

هي أشياء لا تشتري .. »

« لماذا ينبغي للعرب التوصل إلى السلام ؟ لو قدر لى أن أكون زعيماً عربياً لما تصالحت مع إسرائيل على الإطلاق هذا أمر طبيعى نحن قد استولينا على بلادهم وهم لا يفضيهم فى شيء أن الله وعدنا بها ؛ لأنّ دينهم غير ديننا ، لقد كانت هناك معاداة للسامية ومسكرات اعتقال نازية . ولكن ذلك ليس ذنبهم . هم لا يرون إلا شيئا واحداً هو أننا جننا إلى هنا وسرقنا بلادهم فلماذا ينبغي عليهم قبول هذه الحقيقة ؟ »

ديفيد بن جوريون مؤسس إسرائيل

قضيت ثلاثة أيام فى الفراش منهكاً ..

كانت التجربة قاسية عنيفة .. لم يخطر لى هذا ببال .. وقد احترت أن أقضى هذه الأيام فى داري ، لكن (بارتلييه) والهولدى جاءا يطمئنان على ، وهو شرف كبير لأن المدير لا يخرج من الوحدة إلا جثة ، وهذا لا يحدث كثيراً على كل حال ..

جلس (بيتر ترامب) البروفسور الهولندى الذى اتضح لى أنه عبقري بالفعل .. تفحص حدقتى وفحص جهازى العصبى بدقة .. وجهه بضع ضربات بالمطرقة إلى أوتارى ووخزنى ألف مرة بدبوس مديب ثم وجه لى بعض أسئلة من ورقة يحملها ..

فى النهاية قال وهو يحك رأسه :

- « لا توجد توابع لهذه التجربة .. مجرد إرهاق .. »

قلت وأنا أعتدل فى الفراش وأضبط وضع الوسادة :

- « مجرد إرهاق كالذى تشعر به الحجارة بعد خروجها من خلاط أسمنت .. لقد كان الضغط العصبى مروعا .. كدت أجن .. »

ثم سألته فى حذر :

- « الحقيقة أننى لم أفهم حتى هذه اللحظة ما حدث فعلاً .. »

كان (بارتلييه) يجلس بصعوبة على طرف المقعد .. إن هذه المقاعد متينة فعلاً .. كل شيء فيه يترجرج .. وقد أخرج بعض الأقراص وراح يبتلعها .. إننى قلق على هذا الرجل . إنه يزداد بدانة وإرهاقاً .. لا أعرف كيف أتحمل (سافارى) من دونه . ربما يأتى (شيلبى) من بعده لكنه ليس أكبر الموجهين ..

لكن لا سأطرح هذه الأفكار السوداء على الآن ..

قال (بارتلييه) وهو يرشف كوباً من الماء :

- « كان هناك تيار أعلى من اللازم انطلق من ناحيتك تسرب إلى الجهاز الرئيسى ، وتسرب إلى (ليفى) . كان ما وجدناه هو أن (ليفى) دخل فى نوبة تشنج مريعة .. ثم إن الأسلاك المتصلة به اشتعلت .. فعلاً اشتعلت . وقد احترق جزء من جلد رأسه العارى لكنه سليم .. »

قال (ترامب) فى شرود :

- « الحقيقة أننا لو لم نسرع لاحترق حياً .. »

فكنت فى سخرية مريبة :

- « مثلاً يزعم أنه حدث لأجداده .. لو كان صادقاً فهو معتاد هذا على كل حال .. بالمناسبة . رأيت كل أصناف الذكريات لدى هؤلاء القوم ، لكنى لم أر وجهاً واحداً فى قرن .. المفترض أن تحل هذه الأمور جزءاً عزيزاً من ذكريته .. هل لديك تفسير ؟ »

تجاهل (ترامب) ملحوظتى واستطرد :

- « هذه الطاقة المروعة قد أتلفت النظام بالكامل .. على أن أبداً من جديد .. لكن لا يمكن أن نصفها بأنها كانت تجربة فاشلة .. »

- « كانت ناجحة أكثر من اللازم .. سأوقع لك أية شهادة تطلبها .. »

ابتسم وربت على ركبتي من فوق الملاءة ، ثم أعلن أنه عائد إلى الوحدة .. قال (بارتلييه) إنه سيبقى معى بعض الوقت ..

لم تكن (برنادت) فى البيت .. فهى مشغولة بعملها فى
(مسافرى) . لهذا كان لدينا كل الوقت كى نثرثر أنا
و(بارتلييه) بعد رحيل الهولندى ..

ساد الصمت بعض الوقت ، ثم سألته :

- « لماذا ؟ »

- « لماذا أى شيء بالضبط ؟ »

- « لماذا اخترتم (ليفى) لهذه التجربة ؟ كان بوسعكم اختيار
أى واحد فى الوحدة . أنتم تعرفون أن علاقتى العتلى به هى
ألا توجد علاقة .. هل كان يعرف ؟ »

قال (بارتلييه) فى صدق :

- « بالطبع لا . قلت لك إنها تجربة ثنائية التعمية ..
لو عرفت أنه هو لو عرف أنك كنت لتدخلت الخبرات لسابقة فى
تشكيل الروى ، أما الحال كذا فقد هبطت الصور على
عقلية بكر .. »

- « لم تجب عن سؤالى .. لماذا هو ؟ »

حك رأسه فى ارتباك .. وجفف قطرة عرق نبئت على
جبينه وقال :

- « الواقع أنها كانت فكرتى .. خطر لى أنه لو تبادلتما
التراث الجمعى ، فلربما خلقنا نقطة تفاهم مشتركة . إن
ما بينكما هو سنوات من سوء الفهم . لو عرفت كيف يفكر
ولو عرف كيف تفكر لتلاشى هذا الحاجز »

نظرت فى عينيه ، وقلت بثبات :

- « هل ترى الحاجز قد زال ؟ »

- « خطر لى أن هذا ممكن . أنت رأيت لاشعوره الجمعى ..
عرفت لماذا يفعل ما يفعله .. »

انفحرت فى الضحك حتى شعرت كأن كل عظمة من
عظامى تصافر فى اتجاه ... ولما استطعت أن ألتقط أنفاسى
أخيراً قلت :

- « أى لاشعور جمعى ؟ هل سمعت الشريط ؟ »

- « جعلنا صاحبك التونسى (بسام) يترجمه لنا إلى
الفرنسية .. »

- «أى تراث إذن ؟ أى وجدان جمعى ؟ هل سمعت عن
(أبو زعبوط) ؟»

بدا عليه الغباء كما هو متوقع .. طبعاً لم يسمع عنها .
فقلت :

- «إنها قرية كبيرة أو مركز فى وطنى . فى شبابه
اضطرت لدخول دورة مياه عمومية فى (أبو زعبوط) ..
حسن . تذكرت هذا الآن لعدة أسباب .. أنا لم أرى
وجدان هذا الفتى إلا مرحاضاً عمومياً بعد أن انقطعت
المياه عنه شهرين . هذا الفتى لا يملك ذكرى إلا مجموعة
من المذابح والعقد النفسية . لا يملك فى ذهنه
إلا (أبو زعبوط) ..»

ابتسم فى تحفظ ولم يقل شيئاً ..

عدت أسأل :

- «ما التراث الذى أخذه منى ؟»

هز رأسه وقال :

- «لست فى حل من التعليق على ذلك .. كما اتفقنا بحق
لك مفاضلتنا لو عرفت أننا قمنا بتسريب أسرارك .. نفس الشيء
ينطبق عليه .. أعتقد أن قيام د. (بو غطاس) بالترجمة
لا يضايك كثيراً .. على كل حال من الجلى أن لا شعورك
الجمعى قد عذب د. (لبنى) كثيراً ..»

قلت فى غيظ :

- «أى عذاب ؟ لم يعرف عنا يوماً أننا أسأنا معاملتهم ..
فى كل تاريخ العرب كان طبيب للخليفة يهودياً دائماً .. وربما
وزير كذلك .. لقد عاملناهم كما ينبغى أن يكون ، عاملتهم
أوروبا بغلظة تصل إلى درجة التوحش .. ثم قررت أوروبا
التخلص منهم فأرسلتهم إلينا .. هذه المجموعة من الأفاعى
السامة لم تجد لها أوروبا مكاناً إلا فى حديقة دارى ..»

ثم أضفت وقد تذكرت :

- «لم أر لية ذكرى للمحرقة (هولوكوست Holocaust) ..
هل تتصور هذا ؟ المفترض أن تحتل أهم موقع من
تكرياته ..»

فكر قليلاً ، ثم قال وهو ينظر خلفه :

- « أسمع يا (علاء) .. ليس من المفترض أن أقول هذا ..
إن منصبى لا يسمح لى بهذا ، وخاصة أن هؤلاء القوم يرفضون
انتقادهم بآية صورة إتهم يتهمون أوروبا بمعادة السامية طيلة
الوقت ولو عرف أحد أنني قلت ما قلته فلسوف يكلفنى هذا
منصبى .. »

- « كل من يلومهم على ذبح الأطفال هو معاد
للسامية بالنسبة لهم .. فى رأيهم ليس أمام الفلسطينى
إلا لعبة واحدة يلعبها هى أن ينقرض فى هدوء
وصمت .. »

نظر حوله من جديد كأنما هو يتوقع أن يجد (شارون)
يقف خلفه .. ثم قال :

- « لماذا يا (علاء) ؟ »

نظرت له فى حيرة وانتظرت تفسيراً .. فعاد يسأل :

- « لماذا ؟ »

- « لماذا تركتموهم يفعلون بكم كل هذا ؟ أنتم أمة
عريقة قدمت الكثير .. لديكم إمكانيات اقتصادية هائلة
وتعدادكم مخيف .. كيف ارتضيتم أن تتحولوا إلى .. إلى
هذا ؟ »

اتفجرت ضحكاً .. للمرة الثانية تغلبنى نوبة الضحك
الهستيرى هذه ..

قلت ولنا أستجمع أنفاسى :

- « تريد منى أن أشرح لك ما كتبت مجلدات عنه ؟ على
كل حال لن أقضى الوقت فى اتهامكم معشر الغربيين ببذل
كل ما فى وسعكم كى تظل إسرائيل جاثمة على صدورنا ..
ثمة جزء لا بأس به جاء منا نحن .. لدينا شاعر اسمه
(نزار قبلى) يقول :

- « لم يدخل اليهود من حدودنا ، ولكن تسللوا كالنمل من عيوبنا .. »

- « هل توضح أكثر ؟ »

شهقت بعنى وقلت :

- « الفرقة .. انعدام الإرادة .. الولع بالقول لا بالفعل ..
 حينما زار (كيسنجر) المنطقة العربية للمرة الأولى لم يكن
 يعرف حرفاً عن العرب .. هكذا طلب من أحد أساتذة
 الجامعات الأمريكيين أن يعطيه ملخصاً في صفحة واحدة
 لكيفية التفاوض مع الشخصية العربية .. أعد له الأستاذ
 تقريراً عرف باسم (السوق والخيمة) .. وقد هلم (كيسنجر)
 حباً بهذا التقرير وحمله معه في حقيبتة في كل رحلاته
 المكوكية .. يقول التقرير أن التعامل مع العرب يتم بطريقة
 السوق الشرقي أو البازار Bazar .. سيقسمون أغلظ القسم
 وربما يصل الأمر إلى البكاء لكنك تثبت على موقفك وتصر ..
 وفي النهاية يتم البيع بسعر أقل مما أراده لكن يظل الجميع
 سعداء .. أما نظرية الخيمة فتقول إنك ستري زحاماً
 وضوضاء .. عليك أن تجد شيخ القبيلة .. اتجه إليه
 ولا تضيع وقتاً مع الآخرين .. امدحه واكسب ثقة .. عندها
 ستكون كلمته هي النافذة .. »

ابنسم (بارتلييه) لهذا .. إنه غربي يفتنه أي كلام عن
 الخيام والأسواق الشرقية ..

قلت لي :

- « لا أطلبكم بالحرب .. لكن هناك حلولاً حضارية تجدي
 دائماً .. مثلاً المقاطعة الاقتصادية .. ماذا عنها .. »

قلت في إرهابي :

- « عندما تتفق الكلمة على أهمية المقاطعة يبرز لك
 ألف صوت يقول إنك بهذا تهدم اقتصادنا ذاته ، وأن هذا لن
 يؤثر فيهم بل فينا .. إلخ .. ويكتب في الموضوع أضعاف
 ما كتب عن مذبحة الحرم الإبراهيمي .. لا بد من الجدل ..
 لا بد من ضوضاء كثيرة في الخيمة أو البازار .. لا بد من
 العباقرة الذين يبرهنون للمتحمسين على أنهم حقى ، ولو
 برز هؤلاء العباقرة لـ (غاندى) لظلت إنجلترا في الهند
 فترة أطول بكثير .. »

قال ضاحكاً من مذاجتي :

- « الإنجليز لم يخرجوا من الهند بسبب امتناع الهنود
 عن شراء الملح والصوف .. »

« أعرف .. مثلما لن تتخلى أمريكا عن إسرائيل لأننا قاطعنا البضائع الأمريكية .. لكنها صرخة احتجاج تقول إنك لست معدوم الإرادة إلى الحد الذى يحسبونه .. تقول إنك غاضب فعلاً .. تقول إنك لست بهذا الضعف .. ثم يعود الواحد من هؤلاء المنادين بـ (ألا جدوى هناك) لداره شاعراً بأنه عبقري وأنه متميز فامتاز .. النتيجة : لا شيء يحدث على الإطلاق .. للفلسطينيون فقط عرفوا أنه لا جدوى من إضاعة الوقت ، وأن هناك حلاً واحداً اسمه المقاومة .. إنهم يسطرون ملحمة حقيقية ، ولو كان خصمهم غير الإسرائيليين لكتب العالم كفاحهم على النجوم بأقلام من ذهب .. إنهم قد تفوقوا على (ستالينجراد) و (فييتام) وكل ملاحم الصمود التى تعرفونها .. لكن لا أحد يشعر بهذا لأنكم ترتجفون رعباً من لفظة (معاداة السامية) ولأن ضميركم يعذبكم فعلاً .. أنتم أساتم معاملة اليهود فقررتهم الصمت عندما بدعوا يذبحون الآخرين .. »

وأغمضت عيني .. لم أتكلم بهذا القدر من الوقاحة منذ ولدت على ما أنكر ..

لا أعرف كيف بدا له الأمر .. أعتقد أنه غفر لى هذه الوقاحة غير المتعمدة .. لأنى غبت فى نعاس عميق ..

لا أعرف متى أتصرف ..

فقط شعرت بنمسة يد (برنسات) الباردة الحبيبة حينما عادت من العمل ..

كان (ليفى) يرتجف بدوره ..

لقد عرف شينين .. عرف فظاعة ما قاموا به لأنه عاينه من منظور عربى هذه المرة ..

وعرف مدى المقت الذى أحمله له .. مقت يجعله غير آمن على نفسه فى أى مكان وأى زمن ..

وقد أزمع أمراً ..

ما هو هذا الأمر ؟ للأسف هذا خارج نطاق عملى هنا فى (سافارى) ..

و علاء حبر العظیم

أنجاوانديرى

تمت بحمد الله

سافاري

مغامرات طبيب شاب يجاهد
لكي يظل حياً ولكي يظل طبيباً

روايات
مصرية
الحبيب

تقصّصات



د. أحمد خالد توفيق

تجربة فريدة هي .. كان القدماء يتحدثون عن
النكرومانسي Necromancy أو (استجواب الموتى) ..
وهي طريقة شنيعة تجعلك ترى ما رأوه ، وتسمع
ما سمعوه ، وتعرف ما عرفوه .. اليوم نحن نفعل
هذا بطريقة علمية بحثية .. ولن نجرب على الموتى
لكننا سننتزع أسرار الوجدان الجمعي للأحياء ..

العدد القادم
الحادث

ص

الثمن في مصر ٢٥٠
وسابغاله بالدولار الأمريكى
فى سائر النول العربى والعالم

مطابع

مؤسسة وشكر
المؤسسة العربية للتحقيق
المطبعة والنشر
بدر بنى
بدر بنى